التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ❂ العدد ٥٧١ السنة الثامنة والأربعون - رجب ١٤٤٠ هـ

الثمن ٢ جنيهات

علامات محبة العبد لربه

المسلمون وتحديات العصر

- الشرق الأوسط وصفقات قرن تلوح في الأفق
- العادات والتقاليد وأثرها في المجتمعات
- كيف يُعرف الحق في أزمنة الفتن المزمنة ؟

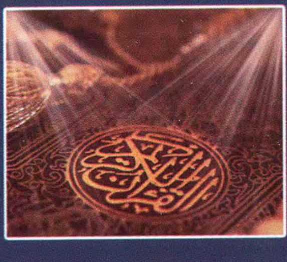

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. مرزوق محمد مرزوق

محمد عبد العزيز السيد

إدارة التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام

WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

السلام عليكم

مكارم الأخلاق

كان طلحة بن عبد الرحمن بن عوف أجود قريش في زمانه، فقالت له امرأته يومًا: ما رأيت قومًا أشدَّ لؤمًا من إخوانك، قال: ولِمَ ذلك؟ قالت: أراهم إذا اغتنيتَ لزِموك، وإذا افتقرتَ تركوك!

فقال لها: هذا والله من كرم أخلاقهم؛ يأتوننا في حال قدرتنا على إكرامهم، ويتركوننا في حال عجزنا عن القيام بحقهم.

قال الماوردي معلقًا: انظر كيف تأول بكرمه هذا التأويل حتى جعل قبيح فعلهم حَسَنًا، وظاهر غدرهم وفاءً، وهذا والله يدل على أن سلامة الصدر راحة في الدنيا، وغَنيمة في الآخرة، وهي من أسباب دخول الجنة، « وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ » (الحجر:٤٧). (أدب الدنيا والدين ص١٥٣).

التحرير

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٦ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٦ سنة كاملة

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

في هذا العدد

افتتاحية العدد: د. عبد الله شاكر ٢
الشرق الأوسط وصفقات قَرْنٍ تلوح في الأُفق: رئيس التحرير ٥
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٩
باب الاقتصاد الإسلامي: د. حسين حسين شحاتة ١٢
من أخلاق حملة القرآن: د. أسامة صابر ١٥
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
العلم النافع والعمل به: أحمد عز الدين ٢٠
درر البحار: علي حشيش ٢١
فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد ٢٣
منبر الحرمين: العادات والتقاليد وأثرها في المجتمعات:
د. صالح بن عبد الله بن حميد ٢٦
مهارات واجبة للدعاة: د. ياسر لمعي عبد المنعم ٢٩
علامات محبة العبد لربه: عبده أحمد الأقرع ٣٢
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي ٣٨
كيف يعرف الحق في أزمنة الفتن المزمنة: د. عماد عيسى ٤١
باب الفقه: د. حمدي طه ٤٤
الأحداث المهمة في تاريخ الأمة: عبد الرزاق السيد عيد ٤٧
الأسرة المسلمة: جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
المسلمون وتحديات العصر: معاوية محمد هيكل ٦١
دراسات قرآنية: مصطفى البصراتي ٦٥
نظرات في كتاب: محمد عبد العزيز ٦٨
من أنواع العقول الفقهية: د. أحمد منصور سبالك ٧١

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

افتتاحية العدد

رؤية خير الأنام في اليقظة والمنام

الحلقة الثانية

الرئيس العام

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فقد ذكرت في اللقاء الماضي بعض الأوجه الدالة على عدم إمكانية رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بعد مماته، وأواصل في هذا اللقاء الحديث عن هذا الموضوع، فأقول مستعينًا بالله تعالى:

الوجه الرابع: أن النبي صلى الله عليه وسلم صرح بأمنيته أن يرى إخوانه، وبيَّن أنهم قوم يأتون من بعده ولم يرهم، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا. قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ. فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ». (مسلم: ٢٤٩).

فهذا الحديث دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لن يرى أحدًا من أمته بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وأنه سيلتقي بإخوانه عند الحوض، وهذه نعمة عظيمة وبشارة جليلة لمن مات على التوحيد والسُّنة، قال الهروي وغيره: «معناه: أنا أتقدمهم على الحوض، يقال: فرط القوم إذا تقدمهم ليرتاد لهم الماء ويهيئ لهم الدلاء والرشاء، وفي هذا الحديث بشارة لهذه الأمة زادها الله تعالى شرفًا، فهنيئًا لمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فرطه». (شرح النووي على مسلم: ١٣٩/٣).

الوجه الخامس: أن النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن لهم في خطبة الوداع وصاياه الجامعة، وأمرهم أن يحفظوها لعله لا يلقاهم بعد عامهم هذا، كما جاء في حديث محمد بن جبير

بن مطعم عن أبيه أنه شهد خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عرفة في حجة الوداع، فقال: أيها الناس، إني والله لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد يومي هذا، بمكاني هذا، فرحم الله من سمع مقالتي اليوم فوعاها... الحديث أخرجه الدارمي في سننه تحت باب بعنوان: «باب الاقتداء بالعلماء». انظر ١/٨٣، ٨٦، ولم يذكر لهم صلى الله عليه وسلم وهو في آخر عهده بهم أن أحدًا من أمته سيراه ويلتقي به، وهذا ما دفع أهل العلم المحققين إلى تكذيب من زعم ذلك، كالربيع بن محمود المارديني، وقد ترجم له ابن حجر وقال فيه: «دجال مفتر، ادَّعى الصحبة والتعمير في سنة تسع وخمسين وخمسمائة». (انظر لسان الميزان ٢/٥٥٣).

كما كذَّب العلماء الحكاية المشهورة عن أحمد الرفاعي أنه ذهب إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ليسلم عليه، فأخرج له يده، قال الأندلسي-رحمه الله-: «إن الدجالين الذين رووا هذه القصة المكذوبة ادعوا أن من كان حاضرًا هناك ورأوا اليد وسمعوا رد السلام نحو مائة ألف أو يزيدون! سبحانك هذا بهتان عظيم! كيف يمكن أن يكون هناك هذا العدد الكثير؟ وأي محل في المسجد يسعهم أو يسع عشر معشارهم؟! ثم إن القبر قد أحاطت به الجدران فمن أي شباك خرجت اليد؟! ومن المعلوم إذا كان أمر عجيب وشيء غريب يتهاجم على رؤيته الراؤون فلا يمكن الرؤية إلا للقريب، وكذلك سماع رد السلام كيف أمكن للجميع؟ فانظر إلى هذه الأكذوبة التي لا تروج حتى على ضعفاء العقول، ومع ذلك فقد تمسك بها قوم سلب الله منهم الحياء، واتخذوها حبالة من حبائل مصائدهم، وأغراهم الله على مثل هذه الدعاوي الكاذبة ليفضحهم بها في الدنيا والآخرة». (انظر: غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/٢٢٢).

الوجه السادس: أنه يلزم من هذا القول أن كل من رآه صلى الله عليه وسلم يكون صحابيًا، فيلزم من ذلك أن مشايخكم الذين تدَّعون أنهم التقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة قد أصبحوا صحابة، وبناءً على ذلك فإن الصحبة لن تنقطع إلى يوم القيامة: قال ابن حجر: «نقل عن جماعة من الصالحين أنهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين، فأرشدهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك. قلت: وهذا مشكل جدًا ولو حُملَ على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ولأمكنَ بقاء الصحبة إلى يوم القيامة، ويعكِّر عليه أن جمعًا جمًّا رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة وخبر الصادق لا يتخلف، وقد اشتد إنكار القرطبي على مَن قال: من رآه في المنام فقد رأى حقيقته ثم يراها كذلك في اليقظة». (فتح الباري ١٢/٣٨٥).

هذه بعض الأوجه الشرعية في دفع من زعم رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة، أما من ناحية العقل فأقول:

إن القول برؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة بعد موته فاسد؛ لما له من لوازم فاسدة، قال القرطبي: «وهذا قول يُدرَك فساده بأوائل العقول، ويلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها، وأن لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين، وأن يحيا الآن، ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه، ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده فلا يبقى في قبره منه شيء فيُزار مجرد القبر ويسلم على غائب.. وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل» نقله عنه ابن حجر في الفتح ١٢/٣٨٤.

دحض شبهات الزاعمين لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة

وبعد إبطالي من الناحية الشرعية

والفعلية أردّ على بعض شبهات الزاعمين لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة، وأعظم شبهة عندهم الحديث الذي ذكرته في الحلقة السابقة ونصه: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي». وهذا الحديث قد رواه اثنا عشر صحابيًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يدل على شيوعه واستفاضته، كما رواه ثمانية من أئمة الحديث وأخرجوه في كتبهم، ولم يفهموا منه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة؛ بدليل أنه لم يُبَوِّب واحد منهم لهذا الحديث مثلاً بقوله: «باب في إمكان رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة»، وقد ذكر أهل العلم أقوالاً كثيرة في المراد بهذه اللفظة أهمها ما يلي: الأول قال ابن بطال في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «فسيراني في اليقظة»: يريد تصديق تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها وخروجها على الحق. قال القاضي عياض رحمه الله: «يحتمل أن تكون رؤياه له في النوم على الصفة التي عرف بها ووصف عليها، موجبة لتكرمته في الآخرة، وأنه يراه رؤية خاصة من القرب منه والشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات، قال: ولا يبعد أن يعاقب الله بعض المذنبين في القيامة بمنع رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم مدة. الثالث: أن هذا خرج مخرج التشبيه والتمثيل، ويدل على ذلك رواية: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، أو لكأنما رآني في اليقظة لا يتمثل الشيطان بي». وقد أخرجها مسلم في صحيحه حديث رقم (٢٢٦٦).

قال النووي رحمه الله في معنى هذه الكلمة: «قال العلماء: إن كان الواقع في نفس الأمر، فكأنما رآني، فهو كقوله صلى الله عليه وسلم: فقد رآني، أو لقد رأى الحق». (شرح النووي على مسلم ١٥/٢٦، وانظر: فتح الباري ١٢/٣٨٥).

وقالت اللجنة الدائمة في ردّها على هذا المعتقد وما استدلوا به: «فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما بلّغ الرسالة وأكمل الله به دينه، وأقام به الحجة على خلقه، وصلى عليه أصحابه رضي الله عنهم صلاة الجنازة، ودفنوه حيث مات في حجرة عائشة رضي الله عنها، وقام من بعده الخلفاء الراشدون، وقد جرى في أيامهم أحداث ووقائع فعالجوا ذلك باجتهادهم، ولم يرجعوا في شيء منها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن زعم بعد ذلك أنه رآه في اليقظة حيًا وكلمه أو سمع منه شيئًا قبل يوم البعث والنشور فزعمه باطل؛ لمخالفته النصوص والمشاهدة وسنة الله في خلقه، وليس في هذا الحديث دلالة على أنه سيرى ذاته في اليقظة في الحياة الدنيا؛ لأنه يحتمل أن المراد بأنه: فسيراني يوم القيامة، ويحتمل أن المراد: فسيرى تأويل رؤياه؛ لأن هذه الرؤيا صادقة بدليل ما جاء في الروايات الأخرى من قوله صلى الله عليه وسلم: "فقد رآني" الحديث، وقد يراه المؤمن في منامه رؤيا صادقة على صفته التي كان صلى الله عليه وسلم عليها أيام حياته الدنيوية». "فتاوى اللجنة الدائمة" (١/٤٨٦، ٤٨٧).

كما استدلوا على اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء ليلة الإسراء والمعراج، وعليه فيمكن رؤيته في اليقظة، والجواب عن هذه الشبهة: أن الإسراء والمعراج كانا معجزتين للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة به، وهي توقيفية ولا يدخلها القياس، ثم إن محل النزاع ليس في حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره، ولا في اجتماعه بالأنبياء ليلة الإسراء والمعراج، ولا بالصلاة بهم إمامًا، فكل ذلك ثابت روايةً عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويجب علينا جميعًا التصديق به، ولكنَّ النزاع في رؤيته يقظة لبعض الناس وأخذهم عنه مباشرة مما لم يثبت به خبر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

كلمة التحرير

الشرق الأوسط وصفقات قَرْنٍ تلوح في الأُفق

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

GSHATEM@HOTMAIL.COM

الحمد لله ولي النعم، مُفَرِّج الكروب، ساتر العيوب، وهو بكل شيء عليم، وبعدُ:

تعيش أمتنا حالة من التردي مع كشف النقاب عن صفقات قرنٍ «ترامبية» تُسْدل خيوطها من حينٍ لآخر على المنطقة العربية والشرق الأوسط، مشمولة بالنفاذ، واستعمال كل الوسائل لوضعها موضع التنفيذ، فها هي صفقة القرن الخاصة بالقضية الفلسطينية يُرَوَّج لها وتُسرب محتوياتها في تحفظٍ شديد؛ استطلاعًا لردود الأفعال، وها هو ترامب الذي عيَّن نفسه عمدة على دول المنطقة، بعد أن وضع الزيت على النار؛ بالاعتراف بالقدس عاصمة للكيان المحتل، ونقل السفارة الأمريكية إلى القدس، وها هي صفقات قرن تُعقَد مع تركيا تارة، ومع التيارات المتقاتلة في كل بقعة من بقاع المنطقة التي يدور فيها الصراعات مع داعش تارة أخرى والمساعدة في نقل أفرادها إلى مناطق آمنة، أو لتغيير موطن الصراع واشعاله في مكان آخر، ثم محاولة عقد صفقة جديدة بالدعوة لعقد مؤتمرات تجهز لقراراتها مسبقًا، هدفها الاستيلاء على ثروات المنطقة بكل الوسائل، والاجهاز على القضية الفلسطينية، وتفريغها من مضمونها، ثم إعلانه في قرارات عنترية عن مصادرة أموال السياسيين والمسئولين العراقيين المنهوبة والموضوعة في بنوك أمريكا، واصدار الخزانة الأمريكية كشوفًا بأسمائهم والأموال المصادَرة.

وحادث قطار السكة الحديد المأساوي في مصر، والذي سبَّب إيلامًا لجموع الشعب المصري، رحم الله من مات، وشَفَى من بقي مصابًا على قيد الحياة، وشفى الله أصحاب القلوب المريضة الذين تاجروا بالحادث وروّجوه كمادة إعلامية رخيصة في ظل حالة الحزن والألم التي ألَمَّت بالشعب المصري كله نتيجة للحادث المؤلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ترامب الشارد لا يتوقف عن قراراته العنترية

لا تمر فترة زمنية قصيرة إلاَّ ويتحفنا الرئيس الأمريكي بقرار عنتري، فقد دعت أمريكا ورتبت لعقد مؤتمر وارسو حول الشرق الأوسط، وذلك في محاولة أمريكية للترويج لصفقات القرن المُتعثرة،

وقد أجمع المحللون السياسيون على أن أمريكا تهدف لإنهاء القضية الفلسطينية عبر خلط الأوراق، والتركيز على التهديدات الإيرانية للمنطقة؛ للالتفاف على الحقوق الفلسطينية المشروعة، ومحاولة تفكيك الوطن العربي، وإشعار العرب بأن البعبع هو إيران، بينما الجانب الحقيقي الذي تقصده أمريكا هو القضاء على القضية الفلسطينية.

وقد عقد مؤتمر وارسو الخاص بالشرق الأوسط بمشاركة ستين دولة؛ حيث يحمل المؤتمر عنوانًا عريضًا هو «السلام والأمن في الشرق الأوسط»، ولكنه في واقع الأمر لم يتناول سوى مسألتين رئيستين هما مواجهة إيران، والقضية الفلسطينية.

ثم سرعان ما جاء القرار الترامبي العنتري بدمج قنصليتها في القدس بسفارتها لدى إسرائيل، والقنصلية الأمريكية كانت مكلفة بأداء مهام السفارة لدى السلطة الفلسطينية، القرار الذي دخل منذ أيام حيز التنفيذ.

غير أن هناك عناصر قوة يمكن أن تراهن عليها القيادة الفلسطينية، ولم يَعُدْ العمل عليها يُعَدُّ من قبيل الترف السياسي، وفي مقدمتها وضع حدٍّ للانقسام الفلسطيني بين فتح وحماس رغم المحاولات الدءوبة من القيادة المصرية للمصالحة بينهما، ولكن يبدو أن هناك دولاً تضغط على الطرفين لعدم إتمام المصالحة ومحاولة إفشالها، مع عدم وجود الإدارة القوية لإتمام ذلك من الأطراف المتنازعة، ووضع حدّ لهذا الانقسام، وهو مطلب شعبي فلسطيني وعربي وإسلامي، يرفض مخرجات صفقة القرن، ومواقف روسية وأوروبية وصينية ما زالت تتمسك بمواقفها الداعمة لدولة فلسطينية مستقلة، وعاصمتها القدس الشرقية، وربما كان رفض الاعتراف الدولي بالقدس عاصمة لإسرائيل بقرار أحادي، وإفشال مخططات وأد القضية الفلسطينية فيما يخص حق العودة، وقبلها إجبار إسرائيل على إعادة فتح بوابات الأقصى، ما يؤكد أن الفعل الشعبي عندما تلتئم لُحْمَته، وتتماسك صفوفه كفيل بإفشال المخططات الأمريكية والإسرائيلية لتفريغ القضية والالتفاف عليها.

ترامب العمدة يُصادر أموال سارقي الأموال

واستمرارًا للقرارات العنترية التي يصدرها العمدة ترامب فقد روّجت الأوساط الإعلامية الغربية أنباءً قوية أن ترامب قرر الاستيلاء على جميع الأموال المودعة في حسابات المسئولين العراقيين لدى البنوك الأمريكية، وكشفت الأوساط المذكورة أن الرئيس الأمريكي صرح بأن أموال المسئولين العراقيين في مصارف أمريكا ستصبح من نصيب الشعب الأمريكي.

واعتبر ترامب حسب المصادر الإعلامية الغربية، بأن أموال الساسة العراقيين بالمصارف الأمريكية ملك للشعب الأمريكي، وهي ضريبة دماء الجنود الأمريكيين التي أُزهقَتْ في العراق.

وقد قامت الخزانة الأمريكية بنشر كشوف بأسماء الساسة العراقيين والمبالغ المالية المودَعة بأسماء كلٍّ منهم، والتي سيتم مصادرتها بناء على قرار ترامب، الذي يُعدُّ ضربةً قاضية لسرية وأمن الحسابات البنكية حول العالم، وهزيمة لمصداقية المؤسسات المالية بالعالم، خصوصًا بعد نشر موقع الخزينة الأمريكي لأسماء المسئولين العراقيين والمبالغ المالية التي أودعوها بالبنوك الأمريكية والمقدرة بـ٥٩٧ مليار دولار، وتبدأ تلك الكشوف التي تم نشرها من الخزانة الأمريكية باسم نوري المالكي ٦٦ مليار دولار، وانتهاءً برافع العيسوي ٢٩ مليار دولار.

وسوف يُحاسَب هؤلاء أمام الله تعالى على سرقتهم تلك الأموال، وهي أموال عامة ليستمتع بها الغير لتكون عليهم حسرة وندامة ووبالاً يوم القيامة، «يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (الشعراء:٨٨، ٨٩).

مستقبل واعد لمصر في إفريقيا رغم الاختراقات الإسرائيلية

أصبحت العلاقات الاقتصادية والاستثمارات والمشروعات المشتركة واستغلال التكنولوجيا الحديثة أدوات مهمة لتحقيق النماء والتقدم في دول العالم، وأصبحت هذه الجوانب مجالات كبيرة للتعاون وتنمية العلاقات المشتركة بين

الدول والمجتمعات.

وإن مصر وهي تتولى رئاسة الاتحاد الإفريقي تسعى لجعل تلك الدورة في ظل رئاستها نموذجًا يشهد به القاصي والداني لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية من خلال العمل على توفير فرص العمل للشباب الإفريقي، وتعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتطوير منظومتي التصنيع والزراعة في إفريقيا لتحقيق الأمن الغذائي، كذلك العمل على مد جسور التواصل الثقافي والحضاري بين الشعوب الإفريقية، وتعزيز الإصلاحات المؤسسية والمالية للاتحاد الإفريقي، فضلاً عن تعزيز التعاون بين الاتحاد الإفريقي، وشركاء التنمية والسلام المحليين والإقليميين والدوليين.

وقد أصدر المركز الإعلامي لمجلس الوزراء المصري بيانًا حول حجم تدفقات الاستثمار في إفريقيا عام ٢٠١٧م، والذي بلغ ٤١,٨ مليار دولار، وأن مصر تتصدر الدول الإفريقية الأكثر جذبًا للاستثمار وفقًا لبنك «راند ميرشنت» عام ٢٠١٨م بعد أن كانت تحتل المركز السادس عام ٢٠١٤م، ثم تلاها تقرير عام ٢٠١٨م جنوب إفريقيا والمغرب وإثيوبيا بالإضافة إلى كينيا.

وتمثلت أبرز مجالات الاستثمار في السيارات وتكنولوجيا المعلومات والتعدين والنفط؛ حيث تمتلك إفريقيا ٣٠٪ من احتياطيات العالم من المعادن، و١٠٪ من الاحتياطيات النفطية المؤكدة للمخزون العالمي، فضلاً عن ٨٪ من احتياطيات العالم من الغاز الطبيعي.

وقد أشار التقرير إلى ارتفاع حجم الصادرات الإفريقية بنسبة ١٦,٤٪، حيث وصل إلى ٤١٣,٨ مليار دولار عام ٢٠١٧م مقارنة بـ٣٥٥,٤ عام ٢٠١٦م، وقد انخفض عجز الميزان التجاري الإفريقي بنسبة ١٤,٥٪؛ حيث بلغ ١٢٠,٤ مليار عام ٢٠١٧م، مقارنة بـ١٤٠,٩ مليار دولار عام ٢٠١٦م، فضلاً عن انخفاض عجز ميزان المدفوعات في إفريقيا بنسبة ٢٤,٧؛ حيث بلغ ٧٨,٨ مليار دولار عام ٢٠١٧م، مقارنة بـ١٢٠,٧ مليار دولار عام ٢٠١٦م.

وأوضح التقرير أن إجمالي الاستثمارات المصرية المتراكمة في إفريقيا حتى عام ٢٠١٨م، قد بلغت ١٠,٢ مليار دولار، حتى تصدَّرت مصر الدول الإفريقية بالنسبة للناتج المحلي الإجمالي بتعادل القوة الشرائية بقيمة ١١,٣ مليار دولار عام ٢٠١٧م.

كما كشف تقرير مجلس الوزراء أن أبرز مشروعات التعاون الثنائي بين مصر ودول حوض النيل التي تقوم بتنفيذها وزارة الري المصرية والتي تمثلت في إنشاء خمسة سدود وحفر ٧٥ بئرًا جوفية، وميكنة ثلاثة آبار جوفية لتوفير مياه الشرب النقية بأوغندا، وأيضًا حفر ١٨٠ بئرًا جوفية في كينيا، و٦٠ بئرًا جوفية في تنزانيا، و١٠ آبار جوفية بإقليم دارفور، فضلاً عن تنفيذ ٦ محطات مياه شرب جوفية لتوفير المياه النقية لمواطني مدينة جوبا بجنوب السودان، وتدريب ٤٣٧ مندوبًا إفريقيا من خلال أكثر من ٣٥ دورة في مجال الإدارة على المستوى الحقلي وتصميم وصيانة السدود، وغيرها.

كما ذكر التقرير أن شركة «المقاولون العرب» قامت بتنفيذ مشروعات بـ٢٣ دولة إفريقية، كما تعاقدت على تصميم وتشييد سد ومحطة «روفيجي للكهرباء» بمنطقة «ستجلر جورج» في تنزانيا، وقامت بتنفيذ مشروع تطوير وتوسعة قرية البضائع وملحق ٢ بمطار أبيدجان بكوت ديفوار، وكذا مصنع إسمنت في عطبرة وكوبري على النيل يربط بين شندي والمتمة في السودان، ومشروع المرسى النهري بمدينة أكواجوك بجنوب السودان، فضلاً عن إنشاء كوبري «رادس»، وحلق الوادي، وكوبري الطويل بتونس، ومبنى وزارة المالية بالجزائر.

وفي ذات الإطار ألقى المركز الإعلامي الضوء على رأس المال البشري لإفريقيا، فأوضح المركز أن عدد السكان في إفريقيا قد بلغ ١,٥٢ مليار نسمة عام ٢٠١٧م، ومن المتوقع أن يكون ٢٠٪ من سكان العالم أفارقة بحلول عام ٢٠٣٠، وأن يصل عدد السكان إلى ٢,٥ مليار نسمة عام ٢٠٥٠م.

الأصابع الإسرائيلية تعبث في إفريقيا

ومع تولي مصر رئاسة الاتحاد الإفريقي فإنها ستصطدم بالتواجد الإسرائيلي الذي يحاول جاهدًا مد الخيوط والمشاركة في إقامة علاقات حميمية في إفريقيا مع كل دولها، وتعيش إسرائيل في تلك الأيام أزهى عصورها في علاقاتها العربية والإفريقية رغم أزماتها الداخلية وما تواجهها من مقاومة فلسطينية لا تتوقف.

والقارة الإفريقية كانت هدفًا لإسرائيل قبل تأسيس كيانها الغاصب؛ حيث طُرِحَتْ أوغندا كإحدى البدائل لإقامة وطن قومي لليهود، وبعد تأسيسها سعت تل أبيب لإقامة علاقات مع الدول الإفريقية من أجل كسر عزلتها كنبت شيطاني في محيط عربي معاد لها، وقد استطاع العرب في الستينيات والسبعينيات كسب الموقف الإفريقي لمصلحتهم، إلا أن الانقسام العربي في نهاية السبعينيات خلخل ذلك الموقف الإفريقي الصلد، فكان التوغل الإسرائيلي في العديد من دول القارة اليوم يكتسب قوة دفع كبيرة بزيارة رئيس الكيان الصهيوني نتنياهو لتشاد واستئناف العلاقات رسميًا معها.

إن ما يحدث هو اختراق إسرائيلي كبير لتشاد الدولة الإفريقية المهمة في وسط وغرب القارة ذات الأغلبية المسلمة، وهي إحدى أهم دول التلاقي والجوار العربي الإفريقي، ولا شك أن هذا الاختراق سيكون له ما بعده، فقد أكد نتنياهو أن هناك بشريات أخرى على الطريق، وقد ذهب نتنياهو إلى تشاد وعينه على السودان المجاورة شرقًا، وليبيا شمالاً، والنيجر ومالي غربًا.

وتستغل إسرائيل هشاشة تلك الأنظمة الإفريقية التي يعاني معظمها تحديات هائلة، تتعلق بالإرهاب والمعارضة المسلحة، والانقسامات الداخلية، وتتقدم إسرائيل إليها طمعًا في ثرواتها وموقعها ومقدراتها، وتطرح نفسها كقوة دولية مؤثرة لتلك الأنظمة في علاقاتها الدولية، وذلك بما تملكه من لوبيات ضغط، فضلاً عن تقديمها ما تحتاجه تلك الدول من أسلحة وتقنيات حديثة، وحماية أمنية برعت فيها جميعًا وهي تطمع في الحصول على عضوية مراقب في الاتحاد الإفريقي، فكان لا بد من مراعاة تلك الأمور ووضعها في الحسبان وتقليم أظافر إسرائيل في إفريقيا، وخاصة دول الجوار المصري كليبيا والسودان وتشاد، بل في كل الدول الإفريقية.

حادثة محطة مصر .. وترويج المغرضين للشائعات

حادثة محطة مصر حادثة مروعة.. أدمت قلوب كل المصريين، ولكن بعض أصحاب الأهواء استغلوا الحادث، ونشروا الصور الدامية أثناء التهام النيران وتطايرها واشتعال النيران في بعض من كانوا قريبين من نقطة انفجار الجرار واصطدامه بالمصد الخراساني بنهاية الرصيف، مما أحدث آثارًا تصادمية نتج عنها تناثر السولار من خزان الوقود أسفل الجرار، والذي يسع «ستة آلاف لتر» من السولار، واختلاط أبخرته بالهواء مكونًا مخلوطًا قابلاً للاشتعال، مما أدى إلى اندلاع النيران نتيجة وجود الشرر الناتج عن احتكاك الأجزاء المعدنية ببعضها عند الاصطدام بالمصد الخرساني خاصة مع السرعة القصوى التي كان يسير بها الجرار.

وحقيقة، فالأمر يُدمي القلوب، ولكن التعامل مع الحادث كان سيئًا ومشينًا، فما وقع من حالات وفاة أو إصابات بما تم نشره على صفحات التواصل يدمي القلوب استغله البعض من أصحاب القلوب المريضة للتعريض وبثّ الصور وكأنها شماتة، وكان بعض الإعلاميين على غير مستوى المسئولية في طريقة النشر والتحليل، وأثناء كتابة تلك السطور أوضح تقرير النائب العام المستشار نبيل صادق في بيانه بشأن التحقيقات التي تبيَّن فيها أن ما حدث هو خطأ بشري يجب أن يُحاسَب كل مَن شارك فيه بأقسى عقوبة.

ندعو الله تعالى للضحايا بالرحمة والمغفرة، ونحتسبهم عند الله تعالى من الشهداء، ولمن بقي مصابًا بالشفاء العاجل، مع ضرورة أخذ العبرة من تلك الحادثة حتى لا تتكرر.

اللهم تولَّ أهل مصر برعايتك وحفظك، اللهم احقن دماءنا، اللهم ولِّ علينا خيارنا، اللهم جنِّبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، واجعل لنا من كل همّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الْفَتْحِ

الحلقة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

مرَّ معنا في الحلقة السابقة مجيء عُرْوَة بْن مَسْعُود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليفاوضه في صلح الحديبية.. فَأَتَاهُ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نَحْوًا من قَوْله لبُدَيْل، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلكَ: أَيْ مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ إِن اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمكَ، هَلْ سَمعْتَ بأَحَد منَ الْعَرَب اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟! وَإِنْ تَكُن الأُخْرَى، فَإِنِّي وَالله لأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لأَرَى أَوْشَابًا من النَّاس خَليقًا أَنْ يَفرُّوا وَيَدَعُوكَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْر: امْصُصْ بَظْرَ اللاَّتَ، أَنَحْنُ نَفرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟! فَقَالَ مَنْ ذَا؟ قَالُوا أَبُو بَكْرٍ. قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْلاَ يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لأَجَبْتُكَ.

إعداد د. عبد العظيم بدوي

قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بلحْيَته، وَالْمُغيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْه الْمغْفَرُ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَده إِلَى لحْيَة النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ضَرَبَ يَدَهُ بنَعْل السَّيْف، وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لحْيَة رَسُول الله صلى الله عليه وسلم. فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا الْمُغيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ. فَقَالَ أَيْ غُدَرُ، أَلَسْتُ أَسْعَى في غَدْرَتكَ؟! وَكَانَ الْمُغيرَةُ صَحبَ قَوْمًا في الْجَاهليَّة، فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَمَّا الإِسْلاَمَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا الْمَالَ فَلَسْتُ منْهُ في شَيْءٍ».

ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بعَيْنَيْه. قَالَ: فَوَالله مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ منْهُمْ، فَدَلَكَ بهَا وَجْهَهُ وَجلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتلُونَ عَلَى وَضُوئه، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عنْدَهُ، وَمَا يُحدُّونَ إِلَيْه النَّظَرَ تَعْظيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابه، فَقَالَ: أَيْ قَوْم، وَالله لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوك، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكسْرَى وَالنَّجَاشيِّ، وَالله إِنْ رَأَيْتُ مَلكًا قَطُّ، يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم مُحَمَّدًا، وَالله إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ منْهُمْ، فَدَلَكَ بهَا وَجْهَهُ وَجلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتلُونَ عَلَى وَضُوئه، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عنْدَهُ، وَمَا يُحدُّونَ إِلَيْه النَّظَرَ تَعْظيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْد، فَاقْبَلُوهَا.

فَقَالَ رَجُلٌ منْ بَني كنَانَةَ: دَعُوني آتِه. فَقَالُوا ائْتِه.

فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ». فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ: رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ فَقَالَ: دَعُونِي آتِهِ. فَقَالُوا ائْتِهِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «هَذَا مِكْرَزٌ وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ». فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو. قَالَ مَعْمَرٌ فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ».

قَالَ مَعْمَرٌ قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ؟ وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ. فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ». ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ». فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «وَاللهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي. اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ».

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: «لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا». فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ». فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ. فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ- وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ- إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا. قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللهِ! كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟! فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ، حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ. فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ، أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ». قَالَ: فَوَاللهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا. قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «فَأَجِزْهُ لِي». قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ. قَالَ: «بَلَى، فَافْعَلْ». قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ. قَالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ. قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا؟! أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟! وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللهِ.

قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟ قَالَ: «بَلَى». قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: «بَلَى». قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطَى الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟! قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي». قُلْتُ: أَوَ لَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ»؟. قَالَ: قُلْتُ لَا. قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ».

قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟ قَالَ بَلَى. قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ بَلَى. قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطَى الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّهُ

لَرَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وَلَيْسَ يَعْصى رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِه، فَوَاللَّه إنَّهُ عَلَى الْحَقِّ. قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ لا قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالاً. قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا». قَالَ: فَوَ اللَّه مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ.

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّه، أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ. فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ، نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ. فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ، قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ، فَأَنْزَلَ اللَّه تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ» حَتَّى بَلَغَ «وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ». فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِى سُفْيَانَ، وَالأُخْرَى صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ.

ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إلَى الْمَدِينَةِ، فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ - رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ - وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا: الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا. فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّه إِنِّي لأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيِّدًا، فَاسْتَلَّهُ الآخَرُ فَقَالَ أَجَلْ، وَاللَّه إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ.

فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ، فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ، فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ، وَفَرَّ الآخَرُ، حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم حِينَ رَآهُ: «لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا». فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ صلى اللَّه عليه وسلم قَالَ: قُتِلَ وَاللَّه صَاحِبِي، وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ، فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّه، قَدْ وَاللَّه أَوْفَى اللَّه ذِمَّتَكَ، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّه مِنْهُمْ. قَالَ النَّبِيُّ صلى اللَّه عليه وسلم: «وَيْلُ أُمِّهِ! مِسْعَرَ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ».

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ الْبَحْرِ. قَالَ: وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ، فَوَ اللَّه مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ، وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى اللَّه عليه وسلم تُنَاشِدُهُ بِاللَّه وَالرَّحِمِ لَمَّا أَرْسَلَ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صلى اللَّه عليه وسلم إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّه تَعَالَى: «وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ» حَتَّى بَلَغَ «الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ»، وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّه، وَلَمْ يُقِرُّوا بِبِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ. (صحيح البخاري ٢٧٣١و٢٧٣٢).

قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ: ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم مِنْ وَجْهِهِ ذَلِكَ قَافِلًا، حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، نَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا».

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

التطبيق المعاصر للزكاة

أحكام وحساب زكاة النشاط التجاري والاستثمارات التجارية

إعداد د. حسين حسين شحاتة
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فالتجارة من مقومات النشاط الاقتصادي وقد حثّ الإسلام عليها، ولقد أشار القرآن إلى ذلك في قول الله عز وجل: (وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ) (البقرة:٢٧٥).

والزكاة واجبة في الأموال المرصدة للتجارة بأدلة من الكتاب والسنة والإجماع، فمن الكتاب قول الله عز وجل: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ) (البقرة: ٢٦٧)، كما أجمع الفقهاء على خضوع أموال التجارة للزكاة.

ولقد ظهرت في الآونة الأخيرة نماذج من المعاملات التجارية لم تكن قائمة في صدر الدولة الإسلامية تحتاج إلى دراسة وتحليل لبيان أحكام وأسس حساب الزكاة عليها، منها على سبيل المثال: زكاة الشركات، زكاة الجمعيات التعاونية، زكاة الصيدليات، توظيف الأموال في التجارة، وهكذا.

ويختص هذا الفصل ببيان الأحكام الفقهية والأسس والنماذج المحاسبية لزكاة عروض التجارة للأفراد والشركات والمشروعات الاستثمارية كما يقوم بها الأفراد، والشركات، والمؤسسات.

أحكام وأسس حساب زكاة عروض التجارة:

يضبط حساب زكاة عروض التجارة مجموعة من الأحكام واردة تفصيلاً في كتب فقه الزكاة وتُحسب تلك الزكاة طبقاً للأسس الآتية:

(١) تحديد ميعاد حساب وأداء الزكاة، سواء

على أساس السنة الهجرية (القمرية)، أو السنة الميلادية (الشمسية) . (أساس الحولية).

(٢) حصر وتقويم أموال التجارة التي تجب فيها الزكاة حسب الأحكام الفقهية والأسس المحاسبية. (أساس الأموال الزكوية).

(٣) حصر وتقويم الالتزامات (المطلوبات) الحالّة الواجبة الخصم من أموال التجارة الخاضعة للزكاة المحددة في البند (٢) . (أساس خصم الالتزامات الحالة).

(٤) تحديد وعاء الزكاة عن طريق خصم الالتزامات الحالّة الواردة في البند (٣) من أموال التجارة الخاضعة للزكاة الواردة في البند (٢) . (أساس وعاء الزكاة).

(٥) يُحسب النصاب وهو ما يعادل ٨٥ جرامًا من الذهب عيار ٢١، (أساس النصاب).

(٦) يقارن الوعاء بالنصاب فإن وصله، تحسب الزكاة على أساس ٢,٥٪ (أساس السعر).

(٧) حساب مقدار الزكاة، عن طريق ضرب الوعاء في سعر الزكاة (أساس مقدار الزكاة).

أحكام تحديد وتقويم أموال التجارة الخاضعة للزكاة:

يحكم تحديد وتقويم أموال التجارة الخاضعة للزكاة الأسس الآتية:

(١) عدم خضوع الأصول الثابتة لدى التاجر للزكاة، لأنها من عروض القنية التي تستخدم للمساعدة في أداء النشاط التجاري، ومن أمثلتها ما يلي: المقر الإداري والمخازن، والمعارض، والسيارات، والمعدات والآلات، والتركيبات، والأجهزة الكهربائية، والعدَد والأدوات والأثاث.

(٢) لا يخضع للزكاة الأصول الثابتة المعنوية مثل: الشهرة وحق الامتياز والابتكار؛ لأنها من عروض القنية التي تساعد على النشاط.

(٣) تخضع الأصول المتداولة (المال العامل) للزكاة وتقوم على النحو التالي:

- البضاعة بكافة صورها: تخضع للزكاة وتقوم على أساس القيمة السوقية (سعر الجملة).
- ديون التجارة لدى الغير: (عملاء - مدينون - سلف - عهد- ...) تخضع للزكاة، وتقوم على أساس المرجو تحصيله (الديون الجيدة).
- أوراق تجارية مسحوبة على الغير (أوراق القبض): تخضع للزكاة وتقوم على أساس المرجو تحصيله (الديون الجيدة).
- الاعتمادات المستندية لشراء بضاعة: تخضع للزكاة وتقوم على أساس المدفوع فعلاً من قيمة الاعتماد للبنك أو لغيره.
- غطاء خطاب الضمان: لا يخضع للزكاة لأنه مقيد.
- التأمينات لدى الغير: لا تخضع للزكاة لأنها مقيدة.
- الإيرادات المستحقة: تخضع للزكاة إذا كانت جيدة ومرجوّة التحصيل.
- المصروفات المقدمة: لا تخضع للزكاة لأنها غير مرجوة الاسترداد.
- الحسابات الجارية لدى البنوك: تخضع للزكاة على أساس الرصيد الدفتري.
- الودائع الاستثمارية لدى البنوك: تخضع للزكاة وتقوم على أساس الرصيد الدفتري للوديعة.
- الحسابات الجارية لدى البنوك المجمدة: لا تخضع للزكاة حيث يصعب تسييلها.
- النقدية بالخزينة: تخضع للزكاة على أساس الجرد الفعلي.

(٤) تعامل الحسابات الجارية الشخصية المدينة معاملة المدينين حيث تخضع للزكاة حسب الجيد منها.

(٥) لا يخضع للزكاة مصاريف التأسيس وكذلك المصروفات الإيرادية المؤجلة حيث يصعب تسييلها.

أحكام تحديد وتقويم الالتزامات (الخصوم) الحالّة الواجبة الخصم.

يحكم حصر وتقويم الالتزامات الواجبة

الخصم من الأصول الزكوية الأسس الآتية:

(١) الالتزامات الثابتة طويلة الأجل: يخصم القسط الحالّ منها المتوقع سداده خلال السنة المقبلة باعتبار أنه أصبح من الالتزامات (الخصوم) قصيرة الأجل الحالّة.

(٢) تخصم الالتزامات قصيرة الأجل الحالّة على أساس القيمة الدفترية ومنها على سبيل المثال: الدائنون، وأوراق الدفع، والقروض قصيرة الأجل، والمصروفات المستحقة للغير، ومستحقات الجهات الحكومية مثل: الضرائب والتأمينات، والدفعات المقدمة من العملاء لحساب توريدات.

(٣) تخصم المخصصات لمقابلة الالتزامات على أساس القيمة التقديرية الواردة بالدفاتر ومنها على سبيل المثال: مخصص الضرائب، ومخصص التعويضات، ومخصص الغرامات.

(٤) لا تخصم مخصصات إهلاك الأصول الثابتة، حيث لم تخضع تلك الأصول للزكاة لأنها من عروض القنية.

(٥) لا تخضع مخصصات إهلاك الأصول المتداولة، حيث قومت الأخيرة على أساس القيمة الجيدة المرجوّة التحصيل، وبذلك يكون قد أخذت تلك المخصصات في الحسبان.

(٦) لا تعتبر حقوق الملكية من الالتزامات واجبة الخصم وتتمثل في رأس المال والاحتياطيات، والأرباح غير الموزعة.

أحكام نصاب، وسعر ومقدار زكاة عروض التجارة.

مقدار نصاب زكاة عروض التجارة:

ومقدار نصاب عروض التجارة ما يعادل ٨٥ جرامًا من الذهب، عيار ٢١ حسب القيمة السوقية للجرام وقت حلول الزكاة والتي تختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان، ويلزم كمال النصاب في نهاية الحول عند حساب الزكاة، ولا يُنْظَرُ إلى تحركه خلال الحول من أوله إلى آخره، تطبيقاً لقاعدة الحولية واستقلال السنوات الزكوية، وأن العبرة هي قياس صافي الأصول الخاضعة للزكاة في نقطة معينة من الزمن، وهي ميعاد حلول الزكاة، فإن بلغ النصاب يخضع للزكاة.

سعر زكاة عروض التجارة.

وسعر زكاة عروض التجارة ٢,٥٪ على أساس السنة القمرية (الهجرية)، أو بنسبة ٢,٥٧٥٪ على أساس السنة الشمسية (الميلادية).

مقدار زكاة عروض التجارة.

ويحسب مقدار الزكاة عن طريق ضرب الوعاء في السعر، وفى حالة شركات الأشخاص توزع الزكاة بين الشركاء بنسبة حصة رأس مال كل شريك، وفى حالة الشركات المساهمة تقسم الزكاة على عدد الأسهم لمعرفة نصيب كل سهم.

أحكام زكاة شركات الأشخاص.

- يطبق على زكاة شركات الأشخاص التجارية نفس أحكام زكاة المنشآت الفردية التجارية السابق بيانها، حيث تحدد وتقوّم الموجودات الزكوية ويُطرح منها الالتزامات الحالّة، ويكون الناتج هو وعاء الزكاة والذى يقارن بالنصاب فإذا وصله تحسب الزكاة على أساس ٢,٥٪.

وتقسم الزكاة المحسوبة على الشركة بين الشركاء بنسبة حصة كل منهم في رأس المال.

أحكام حساب الزكاة لشركة مساهمة تجارية

يطبق على زكاة شركات المساهمة التجارية نفس أحكام زكاة المنشآت الفردية التجارية وشركات الأشخاص التجارية السابق بيانهما تفصيلاً.

وتقسم الزكاة المحسوبة على الشركة على عدد الأسهم لتحديد نصيب كل سهم وفى ضوء ذلك تحسب الزكاة المستحقة على كل مساهم ويخطر بها وقد يفوض الشركة في سدادها نيابة عنه أو يقوم هو بسدادها.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

من أخلاق حملة القرآن

يتلونه آناء الليل

إعداد **د. أسامة صابر**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

إن من سمات أهل القرآن الإكثار من تلاوته بالليل؛ حيث يهدأ الكون وتخشع النفس وتطيب المناجاة؛ قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ① قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ② نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ③ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ④ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ⑤ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا) (المزمل: ١-٦).

يأمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم أن يترك التزمل، وهو التغطي في الليل وينهض إلى القيام لربه عز وجل كما أمره فقال: (وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا) (الإسراء:٧٩)، وبيَّن له مقدار القيام وكيفية القراءة بأن يقرأ القرآن على تمهل فإنه عون على فهم القرآن وتدبره، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها، وناشئة الليل هي ساعاته وأوقاته وهي الآنات وقراءة القرآن فيها أجمع للخاطر وأعون على تفهم القرآن وهي أشد مكابدة واحتمالاً، ولذا كانت أعظم في الأجر، وقرأ أبو عمرو وابن عامر (وطاء) بكسر الواو وفتح الطاء والمد فهي مصدر (واطأ وطاء) على معنى: يواطئ السمع القلب في الليل.

ومدح الله من قبلنا من مؤمني أهل الكتاب فقال: (مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ) (آل عمران: ١١٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتِبَ من القانتين، ومن قام بألف آية كُتِبَ من المقنطرين) (صحيح أخرجه أبو داود: ١٣٩٨).

قال الإمام النووي رحمه الله في كتابه (التبيان في آداب حملة القرآن): (وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب، وأبعد من الشاغلات والملهيات والتصرف في الحاجات، وأصون من الرياء وغيره من المحبطات مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل، فإن الإسراء برسول الله صلى الله عليه كان ليلاً وحديث (ينزل ربكم كل ليلة إلى سماء الدنيا

حين يمضي شطر الليل، فيقول: هل من داع فأستجيب له) الحديث، وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (في الليل ساعة يُستجاب فيها الدعاء كل ليلة).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار) (البخاري: ٥٠٢٥).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون".

رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من قام بالقرآن في الليل:

عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَة، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَة، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَة، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَة فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِه، ثُمَّ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِه. (مسلم ٧٧٢)

عثمان بن عفان رضي الله عنه: كان يحيي الليل كله بالقرآن.

عبد الله بن عباس رضي الله عنه: قال ابن أبي مليكة: صحبت ابن عباس في السفر، فكان إذا نزل قام شطر الليل، ويرتل القرآن حرفًا حرفًا، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب).

تميم الداري: صلى ليلة حتى أصبح أو كاد يقرأ آية يرددها ويبكي (أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ) (الجاثية: ٢١).

سعيد بن جبير: قال عنه القاسم الأعرج: كان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى عمش، سمعته يردد هذه الآية: (وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ) (البقرة:٢٨١) بضعًا وعشرين مرة.

الإمام الشافعي: قال حسين الكرابيسي: (بت مع الشافعي ليلة فكان يصلي نحو ثلث الليل، فما رأيته يزيد على خمسين آية، فإذا أكثر فمائة آية، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله، ولا بآية عذاب إلا تعوذ، وكأنما جمع له الرجاء والرهبة جميعًا).

أبو سهل القطان: قال عنه أبو عبد الله بن بشر القطان: (ما رأيت أحسن انتزاعًا لما أراد من آي القرآن من أبي سهل بن زياد، وكان جارنا، وكان يديم صلاة الليل والتلاوة، فلكثرة درسه صار القرآن كأنه بين عينيه).

حمزة بن حبيب الزيات: قال عنه عبيد الله بن موسى: حدثني بعض جيرانه أنه لا ينام الليل، وأنهم يسمعون قراءته يرتل القرآن.

سعيد بن عبد العزيز التنوخي: كان يحيي الليل وقال عنه أبو النضر إسحق بن إبراهيم: كنت أسمع وقع دموع سعيد بن عبد العزيز على الحصير في الصلاة.

أبو عبيد القاسم بن سلام: قال ابن الأنباري: كان أبو عبيد يقسم الليل فيصلي ثلثه، وينام ثلثه، ويصنف ثلثه.

وسيرة أهل القرآن العطرة لا يمل منها، وإنما ذكرنا طرفًا يسيرًا يشحذ الهمم لاقتفاء أثرهم ونختم بواحد من أعلام القراءات المعاصرين وهو: الشيخ عبد العزيز عيون السود شيخ قرّاء مدينة حمص كان رحمه الله يواظب على قيام الليل، استيقظ رحمه الله آخر ليلة في حياته للصلاة، وقد لبس جُبّته وعمامته، ودخل على أبنائه وهم نيام، فغطّاهم، وقال: الله خليفتي عليكم. ثم جلس يصلّي قاعداً بسبب شلله النصفي، وما أن استوى للركعة الثانية وقبض اليمنى على اليسرى، حتى هوى إلى الخلف، وقبض الله روحه الطاهرة.

نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن إنه ولي ذلك والقادر عليه.

زهرة الدنيا بين المشروع والممنوع

الحمد لله ولي الصالحين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين وآله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

ففي مسيرتنا في رياض باب السنة، ومن كتاب الرقاق شرحًا واستفادة من سِفْر شيخ المحدثين إمام العرب والعجم أجمعين البخاري رحمه الله يروي بسنده إلى الإمام الزهري في باب ما يُحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها قال:

بقلم

د. مرزوق محمد مرزوق

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ كَانَ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِهِ فَوَافَتْهُ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآهُمْ.

وَقَالَ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِشَيْءٍ»؟ قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ».

أولاً: التخريج:

١- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ح٦٠٨٧. وفي كتاب الجزية وباب الجزية والموادعة مع أهل الحرب (٣٠١٥).

٢- صحيح الإمام مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، بَابُ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ، ح٥٣٩٥).

٣- سنن الترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع، رقم (٢٤٦٢).

٤- سنن ابن ماجه في كتاب الفتن رقم (٢٤٩٨).

ثانيا: الشرح:

قول البخاري رحمه الله: (بَابُ مَا يُحْذَرُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا والتنافس فيه) المراد بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا بَهْجَتُهَا وَنَضَارَتُهَا وَحُسْنُهَا. و(التنافس) من النفاسة وهي الرغبة في الشيء، ومحبة الانفراد به والمغالبة عليه وكل ذلك مذموم (ينظر: حاشية البخاري تعليق مصطفى البغا (٩٠/٨) ينظر عمدة القاري (ج ١٣ص ٣٩) وينظر إرشاد الساري شرح القسطاني (ج٥ ص٢٣٨).

وذكر رضي الله عنه في الباب سبعة أحاديث ما بين التحذير من التنافس على زهرة الدنيا وأن رسول الله أوتي مفاتيح الخير، وأن خير القرون قرنه، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وأن من عاش من هؤلاء الأخيار في هذه القرون المفضلة على ما بهم من ضيق في العيش أو ابتلاء في النفس والمال إلا أن عيشهم هو أوسط عيش ارتضاه النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه كما ذكر خباب رضي الله عنه على ما مرَّ به من بلاء: «إِنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ مَضَوْا لَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا شَيْئًا، وَإِنَّا أَصَبْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ شَيْئًا، لاَ نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلَّا التُّرَابَ» (أحد أحاديث الباب. فلتراجع هذه الأحاديث في باب ما يُحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها من كتاب الرقاق من صحيح البخاري رحمه الله لترى براعة البخاري الإمام في الجمع بين هذه الأحاديث متفقة المنهج مختلفة الظاهر تحت باب واحد؛ فكأنه أجاب بالجمع بينها على الممنوع والمشروع من زهرة الدنيا، وسيأتي مزيد تفصيل لهذا إن شاء الله.

شرح حديث الباب مختصرًا:

قال ابن شهاب (محمد بن مسلم الزهري): حدثني (عروة بن الزبير) بن العوّام (أن المسور بن مخرمة) بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة (أخبره أن عمرو بن عوف) بالفاء الأنصاري (وهو حليف) بفتح الحاء المهملة وكسر اللام (لبني عامر بن لؤي كان) عمرو بن عوف (شهد بدرًا مع رسول الله-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أخبره أن رسول الله-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها)، أي: بجزية أهلها (وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو صالح أهل البحرين وأمّر عليهم) بتشديد الميم (العلاء بن الحضرمي) عبد الله بن مالك بن ربيعة وكان من أهل حضرموت سنة تسع من الهجرة (فقدم أبو عبيدة) بن الجراح سنة عشر (بمال من البحرين) وكان مائة ألف وثمانين ألف درهم، وقيل ثمانين ألفًا (فسمعت الأنصار بقدومه فوافته صلاة الصبح مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما انصرف) عليه الصلاة والسلام (تعرّضوا له فتبسّم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين رآهم وقال: (أظنكم سمعتم بقدوم أبي عبيدة وأنه جاء بشيء) من الدراهم؟ (قالوا: أجل) نعم (يا رسول الله قال: فأبشروا وأمّلوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم)، (أي لا أخشى عليكم الفقر رغم حبي وخوفي واشفاقي عليكم)، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها) أي: فترغبوا فيها كما رغبوا فيها (وتلهيكم) عن الآخرة (كما ألهتهم) عنها.

مما يستفاد من الحديث:

أولاً: النظر إلى عواقب الأمور وعدم الاغترار بزهرة الدنيا:

إن هذا الحديث دعوةٌ للتأمُّل في عواقب الأمور؛ لأن مَن رُزِقَ بصيرةً يرى بها نهايةَ الطريق قبل أن يسلكه، نال الخير، ونجا مِن الشر، ومَن لم يرَ العواقب، عاد عليه بنقيض قصده، وقد أمر الله جل وعلا بالاعتبار فقال: «فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ» (الحشر: ٢).

وما أجمل ما قاله واعظ السلف الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه صيد الخاطر في فصل البصر في العواقب ص٢٥: "من عاين بعين بصيرته تناهي الأمور في بداياتها، نال خيرها، ونجا من شرها. ومن لم ير العواقب غلب عليه الحس، فعاد عليه بالألم ما طلب منه السلامة، وبالنصب ما رجا منه الراحة... فراقب العواقب تسلم، ولا تَمِلْ مع هوى الحس فتندم).

وقال ابن بَطَّالٍ في شرحه للصحيح (ج١١ ص٢٤٥): (إِنَّ زَهْرَةَ الدُّنْيَا يَنْبَغِي لِمَنْ فُتِحَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَحْذَرَ مِنْ سُوءِ عَاقِبَتِهَا وَشَرِّ فِتْنَتِهَا فَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَى زُخْرُفِهَا وَلَا يُنَافِسُ غَيْرَهُ فِيهَا).

ثانيًا: محبة المال فطرة وهي بين مشروع وممنوع:

من الأمور الفطرية والغرائز الربانية التي وضعها الله ابتلاءً للبشر، وجعل لها مصرفين: مصرفًا مذمومًا، ومصرفًا محمودًا؛ أما محبة المال فحب المال أمر جبلّي، لكن إن كان استعماله في طاعة الله، فهذا مصرف مشروع وعليه يؤجر العبد، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقةٌ، حتى

اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك». (البخاري كتاب الوصايا: ٢٥٥٠).

وأما المصرف الآخر المذموم فيشتمل على كل الذي مآله الانشغال عن ذكر الله ومن ذلك قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ». وقوله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الدُّنيا خَضِرةٌ حُلوةٌ، وإنَّ رجالًا يَتخوَّضونَ في مالِ اللَّه ورسوله بغيرِ حقٍّ لَهُمُ النَّارُ يومَ القيامةِ» (البخاري ٣١١٨).

وليس قصد الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك، انصراف أمته عن كسب المال من وجوهه الشرعية، وصرفه في أبوابه المشروعة، لا يقصد هذا؛ فهو يعلم صلى الله عليه وسلم ما للمال من أهمية في قوة الإسلام والمسلمين، وغير ذلك من أعمال البر والخير، وما قصص المنفقين من الأعلام عنا ببعيدة، وإن شئت فاقرأ عن أبي بكر الذي أنفق ماله كله في سبيل الله، وعمر الذي أنفق نصفه دفعة واحدة، ثم أعياه منافسة الصديق «يقول الفاروق رضي الله عنه: "أَمَرَنا رسول الله- صلَّى الله عليه وسلَّم- يومًا أن نتصدَّق، فوافَق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسْبق أبا بكر إن سبقتُه يومًا، فجئتُ بنصف مالي، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «ما أبقيتَ لأهلك؟»، فقلت: مثلَه، قال: وأتَى أبو بكر بكلِّ ما عنده، فقال له رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «ما أبقيتَ لأهلك؟»، قال: أبقيت لهم اللهَ ورسوله، قلتُ: لا أُسابقك إلى شيءٍ أبدًا" (الترمذي برقم (٣٨٢٩)، وقال حَسَنٌ صحيحٌ).

وعثمان الذي ما ضره شيء ببشارة رسول الله بعدما جهَّز جيش العسرة؛ إذ قال صلى الله عليه وسلم: (مَن جهَّز جيش العسرة فله الجنة، فجهزه عثمان بن عفان رضي الله عنه) (رواه البخاري)، حتى أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على ما فعل عثمان رضي الله عنه فقال: (ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم) (رواه الترمذي وصححه الألباني)، وغيرهم كعبدالرحمن بن عوف، بل وبلال بن رباح على ضيق ذات يده رضي الله عنهم أجمعين.

فلم يقصد رسول الله الإعراض عن هذا المال النافع للمسلمين، بل ولعموم خلق الله؛ وإنما قصد صلى الله عليه وسلم ما يترتب عليه من الطغيان والتنافس المؤدي إلى الهلاك والحرمان.

لذا كانت زهرة الدنيا من آخر ما حذَّر منه صلى الله عليه وسلم؛ ففي الصحيحين عن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال: "إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها فتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم"، قال عقبة: فكان آخر ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر.

وقد سمى الله تعالى المال خيرًا في مواضع كثيرة من القرآن فقال تعالى: «وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ» (العاديات:٨) وقال: «كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ» (البقرة: ١٨٠)، وقال تعالى عن سليمان عليه السلام: «إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي» (ص: ٣٢).

ولما سأل سائل النبي صلى الله عليه وسلم هل يأتي الخير بالشر؟ صمت حتى ظنوا أنه أوحي إليه. فلما نزل عليه جواب ما سئل عنه قال: "أين السائل؟ " قال: ها أنا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الخير لا يأتي إلا بالخير"، وفي رواية لمسلم فقال: "أو خير هو؟ "، وفي ذلك دليل على أن المال ليس بخير على الإطلاق، بل منه خير ومنه شر، ثم ضرب مثل المال ومثل من يأخذه بحقه وينفقه في حقه، ومن يأخذه من غير حقه وينفقه في غير حقه؛ فالمال في حق الأول خير، وفي حق الثاني شر؛ فتبين بهذا أن المال ليس بخير مطلق، بل هو خير مقيد؛ فإن استعان به المؤمن على ما ينفعه في آخرته كان خيرًا له وإلا كان شرًّا له). (انتهى بتصرف من لطائف المعارف لابن رجب ٣٠٧/١).

وللحديث صلة إن أحيانا الله عز وجل في الشهر القادم في استكمال ما يتيسر من الفوائد.

والحمد لله رب العالمين.

العلم النافع والعمل به

إعداد أحمد عز الدين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فإن من أعظم الأسباب الجالبة للسعادة: انشراح الصدر بالعلم والعمل به؛ ذلك لأن العلم النافع-منه الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم- هو الذي يوسِّع الصدر ويشرحه حتى يكون أوسع من الدنيا، فأهله أشرح الناس صدرًا وأوسعهم قلبًا وأحسنهم خُلقًا، وأطيبهم عيشًا، ولهذا أمر الله تعالى بالعلم وأوجبه قبل القول والعمل.

ولقد بوَّب الإمام البخاري رحمه الله في «صحيحه» باب «العلم قبل القول والعمل»، وصدَّر الباب بقوله تعالى: « فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ » (محمد:١٩)، ففيها أمر الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم بأمرين؛ بالعلم، ثم العمل المبدوء أيضًا بالعلم، كما في قوله تعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» علم «وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ» عمل، والعلم شرط في صحة القول والعمل؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل.

فضل العلم:

ولصاحب العلم والعمل فضائل عظيمة تستحق أن يفني عمره في ذلك طلبًا وتحصيلاً وحفظًا؛ لما في ذلك، من مرضاة الله عز وجل، ومن جملة هذه الفضائل أحاديث كثيرة منها:

١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكرَ الله تعالى وما والاه، وعالمًا ومتعلمًا». (صححه الألباني في صحيح الجامع).

٢- «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم». وفي رواية: «كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب». (صحيح الجامع للألباني).

٣- قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير». رواه الترمذي.

أقسام العلم:

وهذا العلم أقسام ثلاثة: القسم الأول: علم بالله وأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى وما يتبع ذلك، وفي مثله أنزل الله سورة الإخلاص وآية الكرسي ونحوها «قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ » (الإخلاص:١،٢)، « ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ » (البقرة:٢٥٥).

القسم الثاني: علم بما أخبر الله عز وجل به مما كان من الأمور الماضية وما يكون من الأمور المستقبلة وما هو كائن من الأمور الحاضرة، وفي مثل هذا أنزل الله عز وجل آيات القصص والوعد والوعيد وصفة الجنة والنار، ونحو ذلك.

القسم الثالث: العلم بما أمر الله به من العلوم المتعلقة بالقلوب والجوارح من الإيمان بالله من معارف القلوب وأحوالها وأقوال الجوارح وأعمالها، ويندرج معه العلم بأصول الإيمان وقواعد الإسلام، وأيضًا يندرج فيه العلم بالأقوال والأفعال الظاهرة، ونخلص من ذلك بأن العلم النافع لا يكون إلا مع العمل به لا ينفصلان أبدًا.

قال سفيان بن عيينة: «أجهل الناس من ترك ما يعلم، وأعلم الناس من عمل بما يعلم، وأفضل الناس أخشعهم لله تعالى». (الدارمي- باب فضل العلم).

فاللهم ارزقنا علمًا وعملاً يا رب العالمين.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٧٨)

٧٢٩- «إن في الجنة نهرًا يُقالُ له رجبٌ، ماؤهُ أشدُّ بياضًا مِن اللبن، وأحلىٰ مِن العسلِ، مَن صامَ مِن رجبٍ يومًا واحدًا سقاه الله مِن ذلك النهرِ».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٨٦٣- الغرائب الملتقطة)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (ح١٨٤٧)، وابن عساكر في «فضائل رجب» (ح٩) من حديث منصور بن يزيد عن موسى بن عبد الله الأنصاري عن أنس مرفوعًا.

وعلته منصور بن يزيد أورده الإمام الحافظ الذهبي في «الميزان» (٨٧٩٧/١٨٩/٤)، وقال: «منصور بن يزيد حدث عنه محمد بن المغيرة في فضل رجب لا يعرف، والخبر باطل، قرأته عام سبعمائة على الحسن بن علي فأخرجه بسنده إلى أنس مرفوعًا».

فائدة: الإمام الذهبي (٦٧٣هـ- ٧٤٨هـ) أي أخرجه بسنده وهو ابن سبع وعشرين.

٧٣٠- «خمسِ ليالٍ لا تُرد فيهن الدعوةُ: أولُ ليلةٍ من رجبٍ، وليلةُ النصفِ من شعبانَ، وليلةُ الجمعةِ، وليلةُ الفطرِ، وليلةُ النحرِ».

الحديث لا يصح: أَخرجه الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠٨/١٠) ط. دار الفكر- من حديث أبي أمامة مرفوعًا، وعلته إبراهيم بن أبي يحيى، قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (١٨٩/٥٧/١): هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي المدني، ثم نقل عن يحيى بن سعيد أنه قال: سألت مالكًا عنه أكان ثقة في الحديث؟ فقال: لا ولا في دينه، ونقل عن يحيى بن معين أنه قال: سمعت القطان يقول: إبراهيم بن أبي يحيى كذاب، وروى أبو طالب عن أحمد بن حنبل قال: تركوا حديثه، قدري، معتزلي، يَرْوِي أحاديث ليس لها أصل، وقال البخاري: كان يرى القدر وكان جهميًّا، وقال عنه ابن معين: كذَّاب رافضي. فالحديث موضوع.

٧٣١- «مثلُ المؤمنِ كالبيتِ الخَرِبِ في الظاهرِ، فإذا دخلته وجدتُه مؤنقًا، ومثلُ الفاجرِ كمثلِ القبرِ المشرفِ المجصصِ يُعجبُ مَن رآهُ، وجوفَه ممتلئٌ نتنًا».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ البيهقي في «الشّعب» (٣٥٨/٥) (ح٦٩٣٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وعلته إبراهيم بن أبي يحيى، وقد بيَّنا آنفًا أنه كذاب رافضي جهمي قدري معتزلي.

٧٣٢- «اتقِ شَرَّ مَنْ أحسنتَ إليه».

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح٢٥) وقال: «لا أعرفه». اهـ. وأقره الإمام

الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (ص٣).

٧٣٣- «مَنْ تَزَوَّجَ امرأةً فلا يَدْخُلْ عليها حتى يُعطيها شيئًا، ولو لم يجد إلَّا أحدَ نعليه».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٣٦٧/٣٤٠/٣) من حديث عصمة بن المتوكل، عن شعبة، عن أبي جمرة، عن ابن عباس مرفوعًا، وعلته عصمة بن المتوكل، قال الحافظ العقيلي: «عصمة عن شعبة وغيره قليل الضبط يَهِمُ وهمًا».

ثم قال: «حديث عصمة بن المتوكل عن شعبة عن أبي جُمرة ليس له أصل».

لذلك أورد الحافظ الذهبي هذا الحديث في «الميزان» (٥٦٣٢/٦٨/٣)، وقال: «هذا كذب على شعبة». اهـ.

٧٣٤- «مَن أكل طعامَ مُتقٍ، نَقَّى الله قَلْبَهُ».

الحديث لا يصح: أورده الإمام الشوكاني في «الفوائد» (ص٨٢) وقال: «هذا الحديث من نسخة أبي هدبة عن أنس موضوعة». اهـ.

فائدة: قال الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١) النوع (٢١): «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم به أي: بوضعه، في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

٧٣٥- «حُبُّ أبي بكرٍ وشُكْرُهُ واجبٌ على أمتي».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤٥٢/٥) من حديث عمر بن إبراهيم، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، عن أبي حاتم، عن سهل بن سعد مرفوعًا، قال الخطيب: تفرد به عمر بن إبراهيم- ويعرف بالكردي- عن ابن أبي ذئب، وعمر ذاهب الحديث. اهـ.

قُلتُ: ومن طريق الخطيب البغدادي أخرجه الإمام ابن الجوزي في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (١٨٩/١) (ح٢٩٢)، ونقل قول الحافظ الخطيب في عمر بن إبراهيم الكردي وأقره، ثم قال: «وقال الدارقطني: كان كذابًا يضع الحديث». اهـ.

وأورد هذا الحديث الحافظ الذهبي في «الميزان» (٦٠٤٤/١٨٠/٣) وقال: «هذا حديث منكر جدًا». ثم نقل قول الدارقطني في عمر بن إبراهيم الكردي: أنه كذاب، وقال فيه الخطيب: غير ثقة». اهـ.

قلتُ: وبهذا فالحديث موضوع.

٧٣٦- «المتعبدُ بغير فقه كالحمار في الطاحونة، وما اتخذ اللهُ من وليٍّ جاهل ولو اتخذه لعلَّمه».

الحديث لا يصح: واشتهر على ألسنة المتصوفة، خاصة الجزء الأخير بدعوى العلم اللدني، وهذا الحديث أورده الإمام الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (ص٢٩٠)، ونقل عن الحافظ ابن حجر أنه قال: «ليس بثابت». اهـ.

فقه المرأة المسلمة

الحلقة التاسعة عشر

باب الصلاة

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

فقد بدأنا بفضل الله تعالى في الحلقة السابقة في فقه الصلاة، وذكرنا تعريف الصلاة وأهميتها، وبعض الأحكام المتعلقة بفقه المرأة في الصلاة، كأذان المرأة وإقامتها، وثياب المرأة في الصلاة، ووجوب سترة العورة، ونستكمل ما بدأناه في الحلقة السابقة، سائلين الله جل وعلا أن ينفع بها، وأن يجعلها في ميزان حسناتنا، وأن يرزقنا الإخلاص والقبول، إنه على كل شيء قدير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

أولا: جواز خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب على خروجهن فتنة:

اتفق الفقهاء على جواز خروج المرأة للمسجد إذا لم يترتب على خروجها فتنة. (المبسوط للسرخسي (٤١/٢)، الفواكه الدواني (٢٠٧/١)، الحاوي الكبير (٤٥٥/٢)، المغني (١٤٩/٢)، المحلى (١٧٠/٢).

واستدلوا على ذلك بعدة أدلة:

١- عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «إِنَّ النِّسَاءَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كُنَّ إِذَا سَلَّمْنَ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ، قُمْنَ وَثَبَتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَمَنْ صَلَّى مِنَ الرِّجَالِ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَإِذَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَامَ الرِّجَالُ» (أخرجه البخاري: ٨٦٦).

٢- عن عائشة قالت: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي الصبح فينصرف النساء متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس. (أخرجه البخاري: ٨٦٧).

٣- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُورًا فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ» (أخرجه مسلم: ٤٤٤).

٤- عن بسر بن سعيد أن زينب الثقفية كانت تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْعِشَاءَ فَلَا تَطَيَّبْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ» (أخرجه مسلم: ٤٤٣)

جاء في فتح الباري: (٤٠٦/٢، ٤٠٧): قال ابن دقيق العيد: هذا الحديث عام في النساء، إلا

أن الفقهاء خصوه بشروط: منها أن لا تتطيب، وهو في بعض الروايات «وَلْيَخْرُجْنَ تَفِلَاتٍ»

قلت: هو بفتح المثناة وكسر الفاء أي غير متطيبات، ويقال امرأة تفلة إذا كانت متغيرة الريح، وهو عند أبي داود، وابن خزيمة من حديث أبي هريرة، وعند ابن حبان من حديث زيد بن خالد وأوله «لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ»، ولمسلم من حديث زينب امرأة ابن مسعود «إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْمَسْجِدَ فَلَا تَمَسَّ طِيبًا» انتهى.

قال: ويلحق بالطيب ما في معناه؛ لأن سبب المنع منه ما فيه من تحريك داعية الشهوة، كحسن الملبس، والحلي الذي يظهر، والزينة الفاخرة، وكذا الاختلاط بالرجال.

ثانيا: استئذان المرأة زوجها بالخروج إلى المسجد:

١- عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةُ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَمْنَعْهَا» (أخرجه البخاري: ٨٧٣).

٢- عن ابن عمر قال: " كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح، والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟

قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟ قال: يمنعه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ» (أخرجه البخاري: (٩٠٠)، ومسلم: (٤٤٢).

٣- عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ائْذَنُوا لِلنِّسَاءِ بِاللَّيْلِ إِلَى الْمَسَاجِدِ» أخرجه البخاري: (٨٩٩)، ومسلم: (١٣٩-٤٤٢).

ثالثا: فضل صلاة النساء في بيوتهن:

وردت عدة أحاديث في فضل صلاة المرأة في بيتها، وكون ذلك أفضل من صلاتها في المسجد، وفي كل هذه الأحاديث مقال، ولكنها بمجموع طرقها ترتقي إلى الصحة.

١- عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ، وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ» صحيح أبي داود (٥٧٦)، وابن خزيمة (١٦٨٤).

٢- عن أبي الأحوص عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صَلَاةُ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي حُجْرَتِهَا، وَصَلَاتُهَا فِي مَخْدَعِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي بَيْتِهَا» صحيح أبي داود (٧٥٠)، وابن خزيمة (١٦٩٠).

المخدع: البيت الصغير الذي يكون داخل البيت الكبير تحفظ فيه الأمتعة النفيسة.

٣- عن أم حميد الساعدية: «أَنَّهَا جَاءَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُحِبُّ الصَّلَاةَ مَعَكَ، قال: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ تُحِبِّينَ الصَّلَاةَ مَعِي. وَصَلَاتُكِ فِي بَيْتِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي حُجْرَتِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي حُجْرَتِكِ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكِ فِي دَارِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي دَارِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي الْجَمَاعَةِ» أخرجه أحمد في المسند (٢٧٠٩٠)، وابن خزيمة (١٦٨٩)، وابن حبان (٢٢١٧).

قال ابن حجر في الفتح (٤٠٧/٢): وإسناد أحمد حسن وله شاهد من حديث ابن مسعود عند أبي داود.

ووجه كون صلاتها في الإخفاء أفضل لتحقق الأمن فيه من الفتنة، ويتأكد ذلك بعد وجود ما أحدث النساء من التبرج والزينة.

رابعا: إمامة المرأة للنساء:

١- عن رائطة الحنفية قالت: «أمتنا عائشة فقامت بينهن في الصلاة المكتوبة»- أخرجه أحمد في "العلل" (٥٥٢/٢)، والدارقطني (٤٠٤/١)، ومن طريقه البيهقي في "الكبرى" (١٣١/٣)، وعبد الرزاق (١٤١/٣)، ومن طريقه ابن المنذر في "الأوسط" (٢٢٧/٤)، وابن سعد في "الطبقات" (٤٨٣/٨)، ورائطة الحنفية مجهولة، وله طرق أخرى يتقوى بها. انظر المحلى (١٢٧،١٢٦/٣)، والمصنف لابن أبي شيبة (٨٩/٢).

٢- وعن حجيرة بنت حصين قالت «أمتنا أم سلمة في صلاة العصر فقامت بيننا»- أخرجه

الدارقطني: (١٤٩٣) وقال الحافظ في التلخيص (١٠٩/٣): أخرجه عبد الرزاق من طريق الدارقطني، وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق قتادة عن أم الحسن.

جاء في المحلى (١٣٥/٣): "وصلاة المرأة بالنساء جائزة ولا يجوز أن تؤم الرجال. واستدل بحديث أم سلمة كما تقدم.

قال ابن قدامة في المغني (١٣١/٢): اختلفت الرواية: هل يستحب أن تصلي المرأة بالنساء جماعة؟ فروي أن ذلك مستحب، وممن روي عنه أن المرأة تؤم النساء: عائشة، وأم سلمة، وعطاء، والثوري، والأوزاعي، والشافعي، وإسحاق، وأبو ثور. وروي عن أحمد، رحمه الله: أن ذلك غير مستحب، وكرهه أصحاب الرأي، وإن فعلت أجزأهن.

قال الشعبي والنخعي وقتادة: لهن في التطوع دون المكتوبة، وقال الحسن وسليم بن يسار: لا تؤم في فريضة ولا نافلة.

وقال مالك: لا ينبغي للمرأة أن تؤم أحداً لأنه يكره لها الأذان وهو دعاء الجماعة، فكره لها ما يراد الأذان له.

ولنا حديث أم ورقة ولأنهن من أهل الفرض، فأشبهن الرجال، وإنما كره لهن الأذان لما فيه من رفع الصوت ولسن من أهله.

الراجح: جواز صلاة المرأة بالنساء بغير كراهة، فأحاديث الباب تدل على ذلك؛ لأن عائشة رضي الله عنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعُد أن تفعل ما كان مكروهًا، فقد كانت من أعلم الناس بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذا أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أمَّت النساء كما جاء في حديث حجيزة بنت حصين المتقدم، وهذا ما ذهب إليه الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وهو قول في مذهب أحمد، وأهل الظاهر، وغيرهم، والله أعلم.

خامسًا: المرأة وحدها تكون صفًا:

عن أنس بن مالك قال: «صَلَّيْتُ أنَا وَيَتِيمٌ، في بَيْتِنَا خَلْفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَأُمِّي أُمُّ سُلَيْم خَلْفَنَا» أخرجه البخاري: (٧٢٧).

جاء في فتح الباري (٢٤٩/٢): قال ابن رشيد: الأقرب أن البخاري قصد أن يبين أن هذا مستثنى من عموم الحديث الذي فيه «لَا صَلَاةَ لِمُنْفَرِدٍ خَلْفَ الصَّفِ» يعني أنه مختص بالرجال، والحديث المذكور أخرجه ابن حبان من حديث علي بن شيبان، وفي صحته نظر.

واستدل ابن بطال على صحة صلاة المنفرد خلف الصف خلافًا لأحمد، قال: لأنه لما ثبت ذلك للمرأة كان للرجل أولى، لكن لمخالفه أن يقول: إنما ساغ ذلك لامتناع أن تصف مع الرجال، بخلاف الرجل فإن له أن يصف معهم وأن يزاحمهم وأن يجذب رجلاً من حاشية الصف فيقوم معه فافترقا.

سادسًا: النساء تقف خلف الرجال في صلاة الجماعة:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا» (أخرجه مسلم: ٤٤٠).

أما صفوف الرجال فهي على عمومها، فخيرها أولها أبدًا، وشرها آخرها أبدًا. أما صفوف النساء فالمراد بالحديث صفوف النساء اللواتي يصلين مع الرجال، وأما إذا صلين متميزات لا مع الرجال، فهن كالرجال: خير صفوفهن أولها، وشرها آخرها.

والمراد بشر الصفوف في الرجال والنساء: أقلها ثوابًا وفضلاً، وأبعدها من مطلوب الشرع، وخيرها بعكسه. وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك، وذم أول صفوفهن لعكس ذلك. والله أعلم. (شرح النووي على صحيح مسلم ٣٩٥/٢).

والحمد لله رب العالمين.

العادات والتقاليد وأثرها في المجتمعات

إعداد د: صالح بن عبد الله بن حميد
إمام وخطيب المسجد الحرام

الحمد لله، الحمد لله عمَّت رحمتُه، أحمده- سبحانه- وأشكره، فهو الأحق أن تُشكر نعمته، وتُتقى نقمته، وتُخشى سطوتُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الخَلْق خلقه، والأمر أمره، والمرتجى والمؤمل جنتُه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله، خُتمت بالنبوات نبوته، وتمَّت بالرسالات رسالتُه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، خير الآل عترته، وخير الأصحاب صحابته، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسلَّم تسليما كثيرًا مزيدًا دائمًا، لا منتهى لمدته، ولا حصر لعدته.

أما بعدُ: فأوصيكم-أيها الناس- ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله-رحمكم الله-، فمن اتقى الله وقاه، ومن أقرضه جازاه، ومن شكره زاده، فاجعلوا تقوى الله نُصْبَ أعينكم، وجلاء قلوبكم، اتقوا الله الذي لا بد لكم من لقائه، ولا مفرَّ من حسابه، واعلموا-رحمكم الله- أن تقوى الله خَلَفٌ من كل شيء، وليس من تقوى الله خلف، فاجعلوها سبيلكم إلى كل خير، فقد تكفَّل الله- عز وجل- لأهلها بالنجاة مما يحذرون، والرزق من حيث لا يحتسبون، واخلطوا الرغبة بالرهبة، (إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ) (الأنبياء: ٩٠).

أيها المسلمون: جاء الإسلام لتحقيق مصالح العباد في الحال والمآل، وفي جميع الأحوال، في العقيدة والعبادة والمعاملات، والعادات والقيَم والأخلاق، والارتباطات الاجتماعية والعلاقَات الإنسانية؛ مما يُنَظِّم حياةَ الإنسانِ كلها في الدنيا والآخرة.

معاشر المسلمين: وأعمال الإنسان إما عبادات يقوم عليها دينه، وإما عادات تصلح بها دنياه، والعادات مرتبطة بنية العبد، فحَسَنُها حَسَنٌ، وقبيحها قبيح، وفي الحديث الصحيح، عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى" (مُخَرَّج في الصحيحين).

والموفَّق من عباد الله من اختار أفضل السبل واجتهد في تحصيل أكمل المثل، والعاداتُ والأعراف لها سلطانها على النفوس، وتمكّنها من حياة الناس، يشق نزعهم عنها، ويصعب التخلص منها، والفطرة الإنسانية تميل إلى الأُنْس بما اعتادته، والركون إلى ما عرفته، فأعراف الناس وعاداتهم جزء من حياتهم، ورمز من رموز حضارتهم وثقافتهم، ومن هنا جاء الشرع المطهر مُقرًّا لهذه الأعراف ومعتَرِفًا بها، وهذا كله في الأَعراف الصالحة المستقيمة، أما الأعراف الفاسدة فإن الشرع ينهى عنها ويأباها، والشاطبي-رحمه الله- يقول: "والعوائد لو

لم تُعتبر لأدَّى بالناس إلى تكليف ما لا يُطاق، وقد قالوا: "الإنسان صانع العادات والأعراف وصنيعتها"، وقالوا: "الإنسان مجموع عادات تمشي على الأرض"، وقالوا: "الإنسان ابن عادته وليس ابن طبيعته".

حاجة الناس للعادات والأعراف:

أيها الإخوة: والأعراف تنشأ من البيئة، ونُظُم الحياة الاجتماعية، جودةً ورداءةً، وغنى وفقرًا، وعلمًا وجهلًا، واستقامةً وانحرافًا، ففي الحياة الطيبة تتولد أعراف مجيدة، ومن الحياة الرذيلة تنشأ عادات سيئة مرذولة، فعادات كل مجتمع تعبِّر عنِ حاله؛ استقامةً وانحرافًا، وانفتاحًا وعصبيةً، فالصلاح يُنتج عادات صالحة، والجهل يُنتج عادات جاهلية، وكلما حَسُن تديُّنُ المجتمع، واستقامت تربيته وارتقت ثقافته وازداد وعيهُ، ارتقى في عاداته وأعرافه، وقلَّت فيه العادات السيئة.

والعادات تنشأ من معانٍ كريمة وأخلاقٍ رصينة، وقِيَم عالية وكرم وشهامة تورثها عقائد مستقيمة وتديُّن صحيح، ورجال كرام، ومبادئ في الصلاح راسخة مما ارتضته النفوس السوية في أمور معاشها ومكاسبها وعلاقاتها، كما قد تنشأ العادات من سلوكيات منحرفة؛ من الخرافة والظلم والعصبية والاستكبار والتسلط والجاهلية.

والعادات والأعراف والتقاليد تعبر عن حياة الناس، فهي تجارب المجتمعات خلال مسيرة تاريخهم الحافل بالأحداث والتغيرات والتطورات، وللعادات تأثير بليغ؛ فهي تبني وتهدم، وترفع وتخفض، وتجمع وتفرق.

العادات والأعراف تعبر عن حالة المجتمع:

معاشر المسلمين: والعادات سلوك اجتماعي يسير عليها الناس ويبنون عليها تصرفاتهم في الأحداث والمواقف والمناسبات والأفراح والأتراح وتجري عليها أساليبهم في أقوالهم وتعاملاتهم وما يأتون وما يتركون في المآكل والمشارب والمساكن والمراكب واللباس والغذاء والحديث والألفاظ والتصرفات والخطط والأنظمة والمعاملات والبيوع والإيجارات والأوقاف والأيمان والنذور وغيرها؛ مما تقتضيه حوائج الناس وتدفع إليه مسالكهم في التدوير والإدارة والإصلاح، كما تبرز معاني الأعراف بعض المعاني الكريمة والقيم السامية من إكرام الضيف ومساعدة المحتاج وعون الغريب، وإغاثة الملهوف.

موقف الشريعة من العادات والأعراف

أيها المسلمون: وقد جاء تشريع الإسلام في أحكامه بمراعاة أحوال الناس وعوائدهم المستقرة وأعرافهم السائدة مما يلبي مطالبَهم ومصالحهم، بل إن هذا مما تركه النبي-صلى الله عليه وسلم- للناس، يسيرون فيه على ما يصلحهم ما دام أنه لا يعارض شرعًا، ولا يقر ظلما، فهو داخل في عموم قوله-صلى الله عليه وسلم-: "أنتم أعلم بأمور دنياكم" (أخرجه أحمد ومسلم وابن ماجه).

والقاعدة في ذلك أن كل ما تعارَف عليه الناسُ واعتادوه وساروا عليه ولم يكن فيه حكم شرعي مقرَّر فإنه يوزن بميزان المصلحة الشرعية بعيدا عن الأغراض والعصبيات، فإذا كانت العادة أو العرف يحقق للناس مصلحةً راجحةً أو يدفع عنهم مفسدة ظاهرة ولا يُخل بالمجتمع فهو عُرْف مقبول وعادة نافذة، والإسلام أقر من الأعراف ما كان صالحا نافعًا لا يعارض أحكام الشرع المطهر وأصلح بعض الأعراف وقومها.

وقد قال عز شأنه مخاطبًا الأولياء والأوصياء: (وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ) (النسَاءِ: ٦)، وقال عز شأنه في حق الأم من الرزق والكسوة: (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ) (الْبَقَرَةِ: ٢٣٣)، وقال النبي-صلى الله عليه وسلم- لهند بنت عتبة في أخذها من مال زوجها: "خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف" (متفق عليه).

ويقول الإمام القرافي-رحمه الله-: "إن جريان الأحكام التي مدركها العوائد مع تغيُّر العوائد خلاف الإجماع وجهالة في الدين"، ويقول ابن فرحون: "إن الأحكام المترتبة على العوائد تدور معها كيفما دارت، وتبطل معها إذا بطلت، ومن أجل هذا فكل ما هو في الشريعة يتبع العوائدَ يتغير الحكم فيه عند تغيُّر العادة إلى ما تقتضيه العاداتُ المتجددةُ، والأعراف والعادات

تتغير وتتبدَّل وتتطور مع تطوُّر المجتمعات وتغير الثقافات وانتشار التعليم، فيقبل ما لم يكن مقبولا ويرفض ما كان مقبولا، فهي تتغير حسب الزمان والمكان والأحوال وطبائع الأمم وأخلاق الشعوب، ومن الحكم المأثورة: "برهان قوة الإرادة ترك ما عليه العادة"، وقد قال أهل العلم في قواعدهم: "المعروف عُرْفًا كالمشروط شرطا".

حكم العادات والأعراف

وبعد-رحمكم الله-: فالأصل في العادات والأعراف الإذن والإباحة، وقد تتحول العادة إلى عبادة وسُنَّة للفرد أو المجتمع، سواء كانت حسنة أو سيئة، وفي الحديث الذي (أخرجه مسلم في صحيحه) من حديث جرير بن عبد الله البجلي- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: "مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنةً فله أجرُها وأجرُ مَنْ عَمِلَ بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء".

أيها المسلمون: الأعراف الصالحة والعادات المستقيمة تعزز الشعوب وتقويها وتشد منها، والعادات السيئة والأعراف المنحرفة تُضعفها وتحرفها، والتقليد الأعمى للآباء والأسلاف يضلها ويزعزعها، وقد جاء الإسلام بالتحذير والتنفير من الأعراف السيئة والعادات المستقبحة والجمود على ما عليه الأسلاف والتمسك بما عليه الآباء والأجداد، فقال سبحانه في معرض ذم أفكار هؤلاء: (إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ) (الزُّخْرُف: ٢٣)، وقال عز شأنه: (بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ) (الزُّخْرُف: ٢٢)، فهي تبعية عمياء، وتعطيل للعقول والأفهام، وحرمان من الحرية البنَّاءة، أعراف سيئة تكلف الناسَ المشقةَ والعنتَ وتستنزف منهم الجهدَ والمالَ والوقتَ، يُلزمون بها أنفسَهم إرضاءً لغيرهم واتقاءً لنقدهم، يتكلفون ما لا يطيقون، ويفعلون ما لا يحبون، وينفقون وهم كارهون، فكيف إذا كانت عادات وأعرافا مخالفة للشرع، ضارة بالصحة والعقول، مسيئة للأخلاق والقيم؟!

يقول الحافظ ابن القيم-رحمه الله- فيمن يستمسك بالعادات والأعراف ويقدمها على أحكام شرع الله وما جاء به رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، يقول رحمه الله: "إنه يعرض لهم فساد في فطَرهم وظلمة في قلوبهم، وكدر في أفهامهم، ومَحْق في عقولهم فيتربَّى عليها الصغيرُ، ويهرم عليها الكبير".

أثر العادات والأعراف الصالحة والسيئة على الناس

أيها الإخوة: وتأملوا في بعض عادات المجتمعات السيئة؛ في الزواج والولائم والمآتم والمجاملات في تكاليف باهظة، ونفقات مرهقة، بل ديون متراكمة، ومن ثم يكون التواصل والتزاور وإجابة الدعوات عند هؤلاء هَمًّا وغَمًّا، بدلا من أن يكون فرحا وسرورا، فالتزاور بالأُنْس والمباسطة ولذة المجالسة، وليس بالمفاخرة والتكلف وإظهار الزينة، والتفاخر والتباهي مما يجعل الحياة هما وشقاء وعبئا ثقيلا.

أيها المسلمون: ويتعين على كل عاقل-فضلا عن المسلم الصالح- أن ينبذ كل عادة وعرف يخالف أحكام الشرع، أو يقود إلى عصبية وجاهلية وفُرْقة وتمييز، وعليه أن يعرض ذلك كله على ميزان الشرع المُطهَّر؛ لينفر من قبيح العادات وسيئ الأعراف، ويفيء إلى ظلال الإسلام الوارفة، ودوحته الآمنة، وإلى مسالك الأخيار من أهل العقل والفضل والكرم والمروءة.

ومن قدَّم هذه العادات والأعراف والتقاليد على شرع الله وحكمه أو تحاكم إليها بدلا من التحاكم إلى شرع الله فهذا مُنكَر عظيم، قد يقود إلى الخروج من الملة عياذًا بالله.

ألا فاتقوا الله-رحمكم الله-، ألا فاتقوا الله-رحمكم الله-، فإن من قاوم العوائد السيئة بالنصح والبيان فهو من المصلحين الذين يسعون لإصلاح ما أفسده الجهلة، ومثل هذا وفقه الله وأعانه يواجه-عادةً- مقاومةً من الجهلة، وهذا نوع من الجهاد، ومن قصر في هذا وهو قادر على الإصلاح وبخاصة من أهل العلم والوجهاء فهو مفرِّط وعرضة للإثم، وأشد منه من يتقرب إلى العامة بمجاملتهم أو إقرارهم على فاسد أعرافهم وعوائدهم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مهارات واجبة للدعاة

المهارة الأولى: « إدارة الوقت في الإسلام »

إعداد **د. ياسر لمعي عبد المنعم**

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

سئل الإمام ابن عقيل صاحب كتاب الفنون: لم تأكل الكعك ولا تأكل الخبز؟ قال: وجدت بين سف الكعك ومضغ الخبز وقتًا يتيح لي قراءة خمسين آية...

- يحكى أن حطابًا كان يجتهد في قطع شجرة في الغابة ولكن فأسه لم تكن حادّة، إذ أنه لم يشحذها من قبل، مر عليه شخص ما فرآه على تلك الحالة، وقال له: لماذا لا تشحذ فأسك؟ قال الحطاب وهو منهمك في عمله: ألا ترى أنني مشغول في عملي؟

ومن يقول: إنه مشغول ولا وقت لديه لتنظيم وقته، فهذا شأنه كشأن الحطاب، إن شحذ الفأس سيساعده على قطع الشجرة بسرعة وسيساعده -أيضًا- على بذل مجهود أقل في قطع الشجرة وكذلك سيتيح له الانتقال لشجرة أخرى، وكذلك تنظيم الوقت، يساعدك على إتمام أعمالك بشكل أسرع وبمجهود أقل، ويتيح لك اغتنام فرص لم تكن تخطر على بالك لأنك مشغول بعملك.

هذا وبما أنه علينا أن نجهّز الأرض قبل زراعتها، ونجهز أدواتنا قبل الشروع في عمل ما وكذلك الوقت، علينا أن نخطط لكيفية قضائه في ساعات اليوم.

ولقد أقسم الله -عز وجل- في كتابه الكريم بالزمن في أكثر من موضوع يقول سبحانه: « كَلَّا وَٱلْقَمَرِ (٣٢) وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ » (المدثر: ٣٢-٣٤)، ويقول تعالى: « كَلَّا وَٱلْقَمَرِ (٣٢) وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ » (الفجر: ١-٤)، ويقول: « وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا (١) وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا (٢) وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا (٣) وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا » (الشمس: ١-٤)، ويقول: « وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ » (الليل: ١-٢)، ويقول: « وَٱلضُّحَىٰ (١) وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ » (الضحى: ١-٢)، ويقول -عز وجل-: « وَٱلْعَصْرِ (١) إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ (٢) إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ » (العصر: ١-٣)

وإقسام الله سبحانه بهذه الأزمان دليل على عظمة أهميتها، هذا عدا ما تحدثت عنه الآيات الأخرى فيما يخصُّ تصور الكافرين للوقت في هذه الحياة وفي الآخرة؛ فمنهم من تجده حريصًا عليه، ولكن ليس فيما يرضي الله فهو يتمنى أن يعمَّر ألف سنة حتى يظل فيما هو فيه من العصيان، ومنهم من يرى أن عمره كله الذي قضاه كان يومًا أو يومين؛ « قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ (١١٣) قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ » (المؤمنون: ١١٢-١١٤).

ويبيِّن الله سبحانه وتعالى أن هذه الحياة فرصة من الزمن الممتد حتى بعد الموت، وهي فرصة قصيرة قياسًا بالحياة السرمدية في الدارِ الآخرة، فرصة لابتلاء الناس أيهم أحسن عملًا؛ حتى يتميز الخبيث من الطيب يقول سبحانه: «تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ» (الملك: ١-٢).

حسن اغتنام وتدبير الوقت:

وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم لنا مثلًا رائعًا في حسن اغتنام وتدبير الوقت، وسيرته كلها تشهد بذلك، ولقد كان حريصًا أشد الحرص على أن تنتهج أمته ذلك النهج فوجهها في أكثر من حديث إلى أهمية الوقت مغتنمًا ما أمكن لترسيخ ذلك المفهوم في وجدان أتباعه، يقول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه: «بادروا بالأعمال سبعًا: هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا، أو غنًى مطغيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مفندًا، أو موتًا مجهزًا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل». وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك» رواه البخاري.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «خط النبي صلى الله عليه وسلم خطًّا مربعًا، وخط خطًّا في الوسط خارجًا منه، وخط خطوطًا صغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، فقال: هذا الإنسان، وهذا أجله محيطًا به -أو قد أحاط به- وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض: فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا». رواه البخاري.

هذه الأحاديث وغيرها كثير دليل على أهمية الوقت في حساب الإسلام كما وضحه جليًّا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

واقرأ كيف حث الرسول صلى الله عليه وسلم الأمة على الاستفادة القصوى من الوقت حتى في أشد الظروف صعوبة؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليفعل».

كان هذا عرضًا مبسطًا لنظرة الإسلام للوقت مع ضرورة اغتنامه.

تأمل ما يأتي وتدبره مليًا:

إن الوقت هو عمر الإنسان وحياته كلها.

العمر محدد ولا يمكن زيادته بحال من الأحوال (فهو مورد شديد الندرة).

الوقت مورد غير قابل للتخزين (اللحظة التي لا تغتنمها تفنى).

الوقت مورد غير قابل للبدل أو التعويض. «لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً».

الوقت يحاسب عليه المرء مرتين (عمره ثم شبابه).

هل لي أن أساعدك ببعض المعلومات التي تعينك على فهم مهارة إدارة الوقت؟

ساعة واحدة من التخطيط توفر ١٠ ساعات من التنفيذ.

الشخص المتوتر يحتاج ضعف الوقت لإنجاز نفس المهمة التي يقوم بها الشخص العادي.

اكتساب عادة جديدة يستغرق في المتوسط ١٥ يومًا من المواظبة.

أي مشروع يميل إلى استغراق الوقت المخصص له، فإذا خصصنا لمجموعة من الأفراد ساعتين لإنجاز مهمة معينة، وخصصنا لمجموعة أخرى من الأفراد ٤ ساعات لإنجاز نفس المهمة، نجد أن كلا المجموعتين تنتهي في حدود الوقت المحدد لها.

إدارة الوقت لا تعني أداء الأعمال بشكل أكثر سرعة، بقدر ما تعني أداء الأعمال الصحيحة التي تخدم أهدافنا بشكل فعال.

فن إدارة الوقت:

هل توجد ضرورة لدراسة فن إدارة الوقت وهل ستضيف إليك الكثير؟

نعم.. ستنجز لك ما يأتي:

أهدافك وأحلامك الشخصية.

التخفيف من الضغوط سواء في العمل أو ضغوط الحياة.

تحسين نوعية العمل.

تحسين نوعية الحياة غير العملية.

قضاء وقت أكبر مع العائلة أو في الترفيه والراحة.

قضاء وقت أكبر في التطوير الذاتي.

تحقيق نتائج أفضل في العمل.

زيادة سرعة إنجاز العمل.

تقليل عدد الأخطاء الممكن ارتكابها.

تعزيز الراحة في العمل.

تحسين الإنتاجية بشكل عام.

زيادة الدخل.

قضاء وقت أكبر في طاعة الله.

لماذا يضيع كثير من الناس أوقاتهم؟

اغتظت كثيرًا من أحدهم لما سمعته يقول لصديق له يريد أن يقابله ويتكلم معه في أمر ما قال له: تعال العمل واجلس معي نتكلم.. أتدري لم؟ لأنهم: لا يدركون أهمية الوقت.

ليس لهم أهداف أو خطط واضحة.

لا يستمتعون بالعمل إطلاقًا.

لديهم سلوكيَّات ومعتقدات تؤدِّي إلى ضياع الوقت.

عدم المعرفة بأدوات وأساليب تنظيم الوقت.

تربى على إضاعة الوقت وتفاهة الحديث.

ماذا أفعل مع البطالين آكلي الوقت؟ هل أنت ضعيف؟

اعلم أنه:

من السهل إلقاء اللائمة على الآخرين أو على الظروف، لكنك أنت المسؤول الوحيد عن وقتك، أنت الذي تسمح للآخرين بأن يجعلوك أداة لإنهاء أعمالهم.

قم واعتذر للآخرين بلباقة وحزم، وابدأ في تنظيم وقتك حسب أولوياتك وستجد النتيجة الباهرة.

وإن لم تخطط لنفسك وترسم الأهداف لنفسك وتنظم وقتك فسيفعل الآخرون لك هذا من أجل إنهاء أعمالهم بك!! أي ستصبح أداة بأيديهم.

وأخيرًا هذه وصية الإمام ابن الجوزي لعلاج البطالين أكلي الوقت أو سراق الحياة أسوقها إليك اختصارًا (كنت أعد ترتيب الأوراق وبري الأقلام وقت حضور البطالين آكلي أوقات الناس، وكنت أشغلهم بذلك فينفضوا عني... هل تستطيع فعل هذه الفعلة وقت حضورهم إليك...... أجب سرًّا).

هل توجد سلوكيات لاغتنام أكثر للوقت؟

نعم قم الآن وأحضر ورقة وقلمًا واكتب:

أهدافك محددة قصيرة المدى.

خطط ليومين؛ فالأحداث تتغير.

احتفظ دائمًا بقائمة المهام .

استخدم أدوات تنظيم الوقت.

انشر ثقافة إدارة الوقت.

لا تحتفظ بمهام معقدة وقسم المهام إلى مهام فرعية.

لا تحتفظ بالمهام الثقيلة على نفسك انته منها فورًا.

لا تكن مثاليًّا؛ وتخجل من الآخرين قل: لا أستطيع.

رتِّب أغراضك.

الاتصال الفعَّال والتأكد من وصول الرسالة كما تعنيها.

حاول ألا تتأخر في الوصول لمكان العمل.

قمْ وحضر للمهام المتكررة.

اجتهد أن تجمع المهام المتشابهة.

ارتدِ ساعة وراقب الوقت في أي مهمة تقوم بها.

تأريخ المهام؛ حدد لنفسك تاريخًا أو زمنا للانتهاء من أي مهمة.

اكتسب مهارة المساومة في تحديد المواعيد.

لا تحتفظ بمهام ناقصة انته من كل مهمة بدأتها.

لا تهمل كلمة «شكرًا». فهي تحبب الآخرين في مساعدتك.

لا تعرض خدمات لا تجيدها.

تعلم فن القراءة السريعة.

اغتنام وقت السيارة-الانتقال والسفر- في الاستماع أو أن يقرأ لك أحدهم أو أن تراجع من حفظك.

لا تحتفظ بمقاعد مريحة في مكتبك؛ حتى ينجز الزائر مهمته سريعًا.

علق لافتة «مشغول» لإنهاء المهام التي تحتاج لتركيز أكثر.

استخدم التليفون بفاعلية.

فهذه نصيحتي لك في هذا توكل على الحي الذي لا يموت واعتذر واختصر وجامل وأقلل وأدرْ وقتك بحسب المصلحة العامة والشخصية

دمت بخير ونفع الله بك.

هذا، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

علاماتُ محبة العبد لربه

إعداد عبده الأقرع

الحمد لله وحده، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعدُ:

فإن النفوس جُبلت على حُبّ مَن أحسن، وإحسانُ الله إلى العباد لا يدنو منه إحسان، وحسبنا قول الله تعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السلام: «إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ» (الشعراء:٧٧-٨٢)، فكل نعمة نحن فيها فهي من الله سبحانه؛ قال الله تعالى: «وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ» (النحل:٥٣)، ونِعَم الله لا تُحصَى ولا تُعَدُّ، قال تعالى: «وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ» (إبراهيم:٣٤).

حبُّ الله سبحانه فرض عين على كل إنسان، وقد توعَّد الله سبحانه الذين يُحبون غيره مثل حبّه، فقال تعالى: «وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ» (البقرة:١٦٥).

وقال سبحانه: «قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ» (التوبة:٢٤)، فوجب علينا أنّ نفرد الله سبحانه بالمحبة؛ لأنه المستحقُّ لذاته، وكل ما سواهُ فإنما يحبُّ من أجله سبحانه، فإن من كمال الحب أن يُحب المحب كل ما يُحبه المحبوب، وأن يُبغض كل ما يبغضه.

ولكن حبَّ الله ليس مُجرد كلمات تُقال، وإنما الحب طاعة وامتثال كما حدث مع خَليل الله إبراهيم، وفلذة كبده إسماعيل عليهما السلام، قال الله تعالى: «رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ» (الصافات:١٠٠-١٠٧).

هذا هو الحب الحقيقي، خضوع وانقياد واستسلام لأمر الله، فإن إسماعيل عليه السلام لما وهبه الله لإبراهيم، أحبه حبًّا شديدًا، وهو خليل الرحمن، والخلة أعلى أنواع المحبة، وهو منصب لا يقبل المشاركة ويقتضي أن تكون جميع أجزاء القلب متعلقة بالمحبوب، فلما تعلقت شعبة من شعب قلبه، بابنه إسماعيل، أراد الله تعالى أن يصفي وُده ويختبر خُلته، فأمره أن يذبح من زاحم حبه، حُب ربه، فلما قدم حُب الله وآثره على هواه وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب من المزاحم، بقي الذبح لا فائدة فيه، فلهذا قال تعالى: «إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ» (الصافات:١٠٧) أي: صار بدلاً منه ذِبح من الغنم عظيم، ذبَحه إبراهيم فكان عظيمًا من جهة أنه كان فداءً لإسماعيل ومن

جهة أنه من جملة العبادات الجليلة، ومن جهة أنه كان قربانًا وسُنة إلى يوم القيامة. (تيسير الكريم الرحمن: ٦/ ٣٩٠).

فحب العبد لربه سبحانه وتعالى طاعة وامتثال، وليس قولاً وادعاءً، فكم من إنسان قد يظنُّ أنه يحبُّ الله سبحانه وتعالى وهو ليس كذلك، وقد يُظن أنه قريبٌ من الله وهو منه بعيد، فهناك علاماتٌ لذلك الحب تُفرق بين الصادق والكاذب، فمن أحب الله حقًّا ظهرت عليه علاماتُ الحب، فإن الحب في القلب ولكن تظهر آثاره على البدن كله، لذلك يكون حب الله عز وجل اعتقادًا بالجنان، وقولاً باللسان وعملاً بالأركان يزيد بالطاعة وينقصُ بالمعصية، فمن هذه العلامات:

علامات حب الله تعالى:

منها: اتباع النبي صلى الله عليه وسلم:

أمر الله سبحانه بامتثال أوامر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، واجتناب نواهيه، قال الله تعالى: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟» (الحشر:٧)، وجعل الله سبحانه اتباع النبي صلى الله عليه وسلم عنوان محبته سبحانه، قال الله تعالى: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (آل عمران:٣١).

قال ابن كثير رحمه الله: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل مَن ادَّعى محبة الله وليس على الطريقة المحمدية فإنه كاذبٌ في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمديَّ والدِّين النبويَّ في جميع أقواله وأفعاله وأحواله». اهـ.

وقال الحسنُ البصري رحمه الله: «زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم -أي: امتحنهم- بهذه الآية: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ» (آل عمران:٣١)، وكانوا يسمونها آية المحبة. أي: (الاختبار والامتحان)، فإن صدقوا في دعواهم واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبهم الله عز وجل، وذلك أعظمُ لهم من أن يحبوه، قال بعضُ السلف: «ليس الشأنُ أن تُحبَّ ولكن الشأن أن تُحَبَّ». أي: ليس الشأن أن تُحبَّ الله، لأنه قد يكون حُبك هذا ادعاءً، ولكن الشأن أن يُحبَك الله، فاتباع النبي صلى الله عليه وسلم، واقتفاء أثره والتمسك بسنته هو شاهدُ صدق العبد في محبته، وكلما عظم الحب زاد الاتباع، وكلما نقص الحب نقص الاتباع.

فكلُ من يرجو الله واليوم الآخر، يجعلُ الرسول عليه الصلاة والسلام قدوته، وأسوته، فقد أمر الله تعالى بذلك، حيث قال: «لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا» (الأحزاب:٢١).

وأهل الإيمان الحقّ يستمدون من الهدي النبوي كل أمورهم، فلا تستوي الأمور، وتستقيم السبل إلا بذلك، فبهداه عليه الصلاة والسلام يهتدون، وعلى ضوء سنته يسيرون، فاتِّباع النبي صلى الله عليه وسلم سبب كل خير، سبب الهداية التي هي أعظم غاية، قال الله تعالى: «وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (الأعراف:١٥٨)، وسبب رحمة الله تعالى الواسعة، قال الله تعالى: «وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ» (الأعراف:١٥٧).

وسبب الفلاح، قال الله تعالى: «فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ» (الأعراف:١٥٧)، فاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم عنوان محبة الله سبحانه، فمن لم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم متبعًا لم يكن لله تعالى محبًا، ولقد أحبَّ سلف هذه الأمة سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فعملوا بها، ودَعَوْا إليها، وذبُّوا عنها، فكان هذا برهانًا ساطعًا على حبهم لله عز وجل.

فهذا صديق الأمة رضي الله عنه، يقول: «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملتُ به، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ». (الإبانة: ١/ ٢٤٦).

وهذا فاروق الأمة رضي الله عنه يقول عن الحجر الأسود: «إني أعلم أنك حَجر لا تَضُرولا تنفع، ولولا أني رأيتُ النبي يُقبِّلك ما قبلتك». متفق عليه.

وهذا ابن عمر رضي الله عنهما، عن مجاهد، قال: «كُنا مع ابن عُمر رضي الله عنهما فمر بمكانٍ فحاد عنه، أي: تنحى عنه، وأخذ يمينًا أو شمالاً، فسُئل لمَ فَعَلْتَ؟ فقال: رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا ففعلتُ». (صحيح الترغيب: ٤٦).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أنه كان يأتي شجرةً بين مكة والمدينة، فيقيلُ تحتها، ويُخبر أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك». (صحيح الترغيب: ٤٧).

«يقيل»: من القيلولة. وعن ابن سيرين، قال: «كنتُ مع ابن عمر بـ«عرفات» فلما كان حين راح رُحتُ معه حتى أتى الإمام فصلَّى معه الأولى والعصر، ثم وقف معه وأنا وأصحابٌ لي حتى أفاض الإمام فأفضنا معه، حتى انتهينا إلى المضيق دون المأزمين، فأناخ وأنخنا، ونحنُ نحسبُ أنه يريدُ أن يصلي، فقال غلامه الذي يُمسك راحلته: إنه ليس يريد الصلاة، ولكنه ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى هذا المكان قضى حاجته، فهو يحب أن يقضي حاجته». (صحيح الترغيب: ٤٨).

سبحان الله، ما أعظم الاتباع، وما أصدق حب الله!!

ومنها: قراءة القرآن: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَن سرَّه أن يحبَّ الله ورسوله فليقرأ في المصحف». (صحيح الجامع: ٦٢٨٩).

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: «من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله فليعرض نفسه على القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله فإنما القرآن كلامُ الله». وكان رضي الله عنه إذا أُهدي إليه المصحف يفرحُ به ويقولُ: «كلام ربي، كلامُ ربي».

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم».

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «كفى بالله حبيبًا، وبالقرآن مؤنسًا، وبالموت واعظًا، ومن لم يتخذ الله صاحبًا والقرآن مؤنسًا فلا آنس الله وحشته».

سبحانَ الله، أين المسلمون اليومَ من هذا القرآن العظيم؟

ومنها: الحب في الله، ولذلك قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أوثق عُرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله». (صحيح الجامع: ٢٠٠٩).

وبه كمالُ الإيمان، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان». (صحيح الجامع: ٥٩٦٥).

ومنها: الرضا بقضاء الله وقدره:

قال علقمة: المصيبةُ تصيب الرجل فليعلم أنها من عند الله فيسلّم لها، والرضا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط». (صحيح الجامع: ٢١١٠).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «وأسألك الرضا بعد القضاء». (صحيح الجامع: ١٣٠١)؛ سأل الرضا بعد القضاء؛ لأنه حينئذ تبين حقيقة الرضا، وإنما الرضا بعد القضاء فإنه عزمٌ من العبد على الرضا، وإنما يتحقق الرضا إذا وقع القضاء.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إن الله إذا قضى قضاءً أحب أن يُرضَى به». وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: أصبحت ومالي سرورٌ إلا في مواقع القضاء والقدر فمن وصل إلى هذه الدرجة كان عيشه كله في نعيم وسرور، قال الله تعالى: « مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً » (النحل: ٩٧)، ومنها: الإكثار من ذكر الله تعالى: المؤمن لا يفتر لسانه عن ذكر الله، قال الله تعالى: «وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ» (البقرة: ١٦٥)، وقد أمر الله تعالى بالإكثار من ذكره، فقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا » (الأحزاب: ٤١)، قال الطبري: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله، اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرًا كثيرًا، فلا تخلو أبدانكم من ذكره في حالٍ من أحوال طاقتكم ذلك. (جامع البيان: ٢٢/١٧). اهـ.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأتي عليه وقت إلا وهو ذاكرٌ لربه، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يذكر الله تعالى على كل أحيانه». رواه مسلم.

وحسبك قول الله تعالى: «فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ» (البقرة:١٥٢). قيل: ليس العجب قوله: «فاذكروني»، ولكن العجب كله من قوله: «أذكركم»، فمحبة الله تعالى ودوام ذكره، والسكون إليه، والطمأنينة إليه، وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل، بحيث يكون هو وحده سبحانه المهيمن على هموم العبد وعزماته وإرادته، هو جنة الدنيا، والنعيم الذي لا يُشبهه نعيم، وهو قُرة عين المحبين، وحياة العارفين، تعلق القلب بالله وحده واللهج بذكره والقناعة: أسبابٌ لزوال الهموم والغموم، وانشراح الصدر والحياة الطيبة، فإن نطق فبالله، وإن تكلم فعن الله، وإن سكن فمع الله، والضد بالضد، فلا أضيق صدرًا، وأكثر همًا، ممن تعلق قلبه بغير الله، ونسي ذكر الله، وقد قال الله سبحانه: «وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ» (طه: ١٢٤-١٢٧).

ومنها: حب الصلاة:

فتستشعر القلوب رهبة الوقوف في الصلاة بين يدي الله، فتختفي من أذهانهم جميع الشواغل عندما يشتغلون بمناجاة الجبار جل جلاله، وحينئذ تكونُ الصلاة راحة قلبية، وطمأنينة نفسية، وقرة عين حقيقية، كما كان حال رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال صلى الله عليه وسلم: «وجُعلت قرة عيني في الصلاة». (صحيح سنن النسائي: ٣٦٨٠).

وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «قم يا بلال فأرحنا بالصلاة». (صحيح سنن أبي داود: ٤١٧١).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاةُ خرج إلى الصلاة». (البخاري: ٦٧٦).

وربما ترك أحب الناس إليه من أجل صلاته بالليل، فعن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها، فقال عُبيد بن عمير: حدثينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبكت، وقالت: "قام صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي فقال: يا عائشة، ذريني أتعبد لربي، قالت: قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما يسرُك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجْره، ثم بكى. فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض، وجاء بلال يؤذن بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟ لقد أُنزلت عليَّ الليلة آية، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها: «إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ» (آل عمران:١٩٠). والحديث في صحيح الترغيب رقم (١٤٦٨).

ومنها: الشوق للقاء الله:

وكان من جملة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مُضرة، ولا فتنة مضلة». (صحيح الجامع: ١٣٠١). والشوق إلى لقائك. قال ابن القيم رحمه الله: جمع في هذا الدعاء بين أطيب ما في الدنيا وهو الشوق إلى لقائه، وأطيب ما في الآخرة وهو النظر إليه. اهـ.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس اشتياقًا لربه؛ حيث قال عليه الصلاة والسلام في خطبته: «إنَّ الله خَيَّر عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ الله. فَبَكَى أَبُو بَكْر، فَعَجِبْنَا لِبُكَائه أَنْ يُخْبرَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ عَنْ عَبْد خُيِّرَ، فَكَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ هُوَ الْمُخَيَّرَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا». (البخاري: ١٢/٧).

اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

واحة

من نور كتاب الله

دلالة الخلق على وجود الله

قال الله تعالى: « سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ » (فصلت: ٥٣).

من فضائل الصحابة

عن أبي معاوية وجماعة: قال علي رضي الله عنه: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، وعمر. هذا والله العظيم قاله علي وهو متواتر عنه؛ لأنه قاله على منبر الكوفة، فلعن الله الرافضة ما أجهلهم؟.

(سير أعلام النبلاء)

من دلائل النبوة

عن ابن عمر رضي الله عنهما، كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه». (صحيح البخاري)

حِكَم ومواعظ

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم: ما بالنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم الدنيا وأخربتم الآخرة، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

(عيون الأخبار)

من حكمة الشعر

إنّ الأمور إذا انسدّت مسالكها... فالصبر يفتق منها كلّ ما ارتجّا
لا تيأسنّ وإن طالت مطالبة ... إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

(العقد الفريد).

التوحيد

إعداد: علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة، في جسده وأهله وماله، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة».

(الأدب المفرد).

صلاح الراعي من صلاح الرعية

عن وهب بن منبّه قال: فيما أنزل الله على نبيه داود عليه السّلام: إني أنا الله مالك الملوك، قلوب الملوك بيدي. فمن كان لي على طاعة جعلت الملوك عليهم رحمة، ومن كان لي على معصية جعلت الملوك عليهم نقمة.

(العقد الفريد)

من معاني الأحاديث

«أنه أمر أن تسمى المدينة طيبة وطابة» هما من الطيب، لأن المدينة كان اسمها يثرب، والثرب: الفساد، فنهى أن تسمى به وسماها طيبة وطابة، وهما تأنيث طيب وطاب، بمعنى الطيب. وقيل: هو من الطيب بمعنى الطاهر، لخلوصها من الشرك وتطهيرها منه.

(النهاية لابن الأثير)

مجمل اعتقاد السلف:

علو الله على خلقه

قال إسحاق بن راهويه: إجماع أهل العلم أنه -تعالى- على العرش استوى، ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة.

(سير أعلام النبلاء)

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«من زار قبر والديه كل جمعة، فقرأ عندهما أو عنده «يس» غفر له بعدد كل آية أو حرف». موضوع.

والمشروع في زيارة القبور إنما هو السلام عليهم وتذكر الآخرة فقط، وعلى ذلك جرى عمل السلف الصالح رضي الله عنهم، فقراءة القرآن عندها بدعة مكروهة كما صرح به جماعة من العلماء المتقدمين. (الضعيفة للألباني)

أثر السياق في فهم النص

(١١١)

حجاب المرأة المسلمة

(٢١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ما يزال حديثنا متصلاً حول أدلة الحجاب من القرآن والسنة، وقد انتهيت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن، ووصلت في أدلة السنة إلى الحديث الخامس عشر: حديث الواهبة التي جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: يا رسول الله جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعَّد النظر وصوَّبه ثم طأطأ رأسه... الحديث (متفق عليه).

إعداد د. متولي البراجيلي

الاستدلال من الحديث:

أولاً: من قال بجواز كشف الوجه:

ذكرت كلام ابن بطال أنه استدل من الحديث على أن الوجه ليس بعورة، سواء لمن أراد خطبة المرأة أو لم يرد خطبتها، قائلاً: ".. فلما ثبت أن النظر إلى وجهها (المرأة) حلال لمن أراد نكاحها، ثبت أنه حلال أيضًا لمن لم يرد نكاحها إذا كان لا يقصد بنظره ذلك إلى معنى هو عليه حرام". (انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال ٧/٢٣٩).

يقول الحافظ ابن حجر: ".. وفيه (الحديث) جواز تأمل محاسن المرأة لإرادة تزويجها، وإن لم تتقدم الرغبة في تزويجها، ولا وقعت خطبتها؛ لأنه صلى الله عليه وسلم صعَّد فيها النظر وصوَّبه، وفي الصيغة ما يدل على المبالغة في ذلك، ولم يتقدم منه رغبة فيها ولا خطبة، ثم قال: "لا حاجة لي في النساء". ولو لم يقصد أنه إذا رأى منها ما يعجبه أنه يقبلها ما كان للمبالغة في تأملها فائدة، ويمكن الانفصال عن ذلك بدعوى الخصوصية له لمحل العصمة، والذي تحرر عندنا أنه صلى الله عليه وسلم، كان لا يحرم عليه النظر إلى المؤمنات الأجنبيات بخلاف غيره، وسلك ابن العربي مسلكًا آخر، فقال: يحتمل أن ذلك قبل الحجاب، أو بعده، لكنها كانت متلففة. وسياق الحديث يبعد ما قال". (فتح الباري لابن حجر ٩/٢١٠).

قلتُ: أي سياق الحديث يبعد أنها كانت متلففة (أي تغطي وجهها)، وإلا فكيف صوب النبي صلى الله عليه وسلم النظر إليها، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يريد خطبتها حتى تكشف وجهها، والقول بأن النظر جائز من أجل الخطبة ليس هذا هو محل النزاع، فهذا ثابت في الشرع؛ فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالنظر إلى المرأة قبل خطبتها، ومن ذلك حديث أنس رضي الله عنه أن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه خطب امرأة من الأنصار، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "اذهب فانظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما". (مسند أحمد، وهو في صحيح سنن الترمذي وغيره، أحرى: أولى وأجدر، يؤدم

بينكما: تكون بينكما الألفة والمحبة).

والحكمة من ذلك أن رؤية من يريد الزواج منها تؤدي في الغالب إلى دوام العشرة، وذلك بخلاف إذا لم يرها قبل الزواج بها فربما كانت لا تعجبه. إنما محل النزاع كيف تكشف وجهها إن كانت منتقبة أمام الصحابة، فالمجلس كان فيه النبي صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة؟

يقول الشيخ الألباني: "..النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قد خطبها، وإنما هي عرضت نفسها عليه كما هو صريح بالحديث، وكان ذلك في المسجد - كما في رواية الإسماعيلي- وعلى مرأى من سهل بن سعد راويه (راوي الحديث)، والقوم الذين كان فيهم كما في رواية للبخاري، وأبي يعلى، والطبراني، وروايتهما أتم". (انظر: الرد المفحم ١/٤٤، ٤٥).

ثانيًا: من قال بعدم جواز كشف الوجه:

يقول الشيخ أبو مصعب فريد بن أمين الهنداوي في كتابه "اللباب في فرضية النقاب": "فالحديث ورد عليه عدة احتمالات أ- أنها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم لتهب نفسها له صلى الله عليه وسلم، فيحتمل أنها كشفت عن وجهها لينظر إليها حال هذه الواقعة فقط، فلا وجه للاستدلال بهذا الحديث على جواز السفور لكل أحد".

قلت: صدر الشيخ كلامه بقوله: فيحتمل. مما يعني أنه لم يقف على دليل لما ذهب إليه أو استدلال قوي من الحديث. ثم قوله: أنها كشفت عن وجهها لينظر إليها حال هذه الواقعة فقط.

قلت: ليس النزاع في ذلك كما سبق، وإنما النزاع أنها كانت كاشفة عن وجهها أمام جمع من الصحابة في المسجد، ففي رواية للحديث عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: إني لفي القوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ قامت امرأة فقالت: يا رسول الله إنها وهبت نفسها لك.." الحديث (صحيح البخاري)، فإن كانت منتقبة فإن ذلك لا يجوز لها، وإنما قصر النظر على من أراد النكاح منها فقط. أو كانت كاشفة عن وجهها ولم تكن منتقبة، وهذا أقوى من ناحية الاستدلال، ومن ناحية سياق الحديث.

ب- ثم قال الشيخ الهنداوي: يحتمل أن ذلك قبل نزول آية الحجاب.

قلت: صدر كلامه أيضًا كسابقه بقول: يحتمل. وآية الواهبة في سورة الأحزاب مما يدل على تأخر نزولها، وسورة الأحزاب فيها الآيات التي تأمر المؤمنات بالحجاب والإدناء، فهل كانت قصة الواهبة قبل آيات الحجاب أو بعدها؟ يبقى ذلك على الاحتمال، خاصة مع تعدد أسماء الواهبات لأنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل: أم شريك الأنصارية. (انظر ترجمتها في سير أعلام النبلاء ٢/٢٥٦).

وورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم خولة بنت حكيم. (تفسير ابن كثير ٦/٤٤٣)، وقيل: غير هاتين الصحابيتين رضي الله عنهما.

ج: ثم قال الشيخ الهنداوي: يحتمل أن ذلك بعد الحجاب، ولكنها كانت متلفعة، لا أنها كانت سافرة للوجه؛ حيث إن سياق الحديث يبعد أنها كانت كاشفة لكل أجنبي وجهها. قلت: قوله: إنها كانت متلفعة، سبق أن قاله ابن العربي المالكي، وأجاب عليه الحافظ ابن حجر بقوله: وسياق الحديث يبعد ما قال. (انظر فتح الباري ٩/٢١٠).

فسياق الحديث لا يبين أنها كانت تستر وجهها (متلفعة) وإلا لماذا كشفت عن وجهها أمام الصحابة في المسجد؟ بل سياقه يدل على عكس ما ذهب إليه الشيخ أنها كانت كاشفة عن وجهها.

الحديث السادس عشر:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي الصبح فينصرف النساء متلفعات بمروطهن ما يُعرَفن من الغلس" (متفق عليه)، وفي رواية: أو لا يعرف بعضهن بعضًا.

الاستدلال من الحديث:

قال الألباني: "ووجه الاستدلال، هو قولها: "لا يُعرفن من الغلس". فإن مفهومه أنه لولا الغلس لعُرِفْنَ، وإنما يُعرَفن عادة من وجوههن، وهي

مكشوفة، ثم قال: ثم وجدت رواية صريحة في ذلك بلفظ: وما يعرف بعضنا وجوه بعض (قال الألباني: رواه أبو يعلى في مسنده، بسند صحيح عنها، انظر السلسلة الصحيحة ١/٦٥٠ ح ٣٣٢، وقال الألباني عقب الحديث: وهي زيادة مفسرة لا تعارض رواية الصحيحين فهي مقبولة، وهو دليل ظاهر على أن وجه المرأة ليس بعورة. الغلس: هو وقت اختلاط ضوء الصبح بظلمة الليل).

قال الباجي: "وقوله: ما يعرفن من الغلس: يحتمل أمرين: أحدهما: لا يُعرَف أرجَالٌ هن أم نساء من شدة الغلس، إنما يظهر إلى الرائي أشخاصهن خاصة.... ويحتمل أيضًا أن يريد لا يعرفن من هن من النساء من شدة الغلس، وإن عرف أنهن نساء، إلا إن هذا الوجه يقتضي أنهن سافرات عن وجوههن، ولو كن غير سافرات لمنع النقاب وتغطية الوجه من معرفتهن لا الغلس...(انظر المنتقى شرح الموطأ ٩/١).

قال الداودي: "معناه ما يعرفن أنساء هن أم رجال، وقيل: ما يعرف أعيانهن". قال النووي: "وهذا ضعيف، لأن المتلفعة في النهار أيضًا لا يُعرف عينها، فلا يبقى في الكلام فائدة". (شرح النووي على مسلم ١٤٤/٥).

وتعقب العيني النووي، فقال: هذا ليس بضعيف؛ لأنه ليس المراد من قوله: ما يعرف أعيانهن، ما يشخصن حقيقة التشخيص، بل معناه: ما يعرفن أرجال أو صبيان أو نساء أو بنات. (شرح سنن أبي داوود للعيني ٢٩٣/٢).

وقال في عمدة القاري: "ثم عدم معرفتهن يحتمل أن يكون لبقاء ظلمة من الليل، أو لتغطيتهن بالمروط غاية التغطي، وقيل: ما يعرفهن أحد، يعني ما يعرف أعيانهن، وهذا بعيد، والأوجه فيه أن يقال: ما يعرفهن أحد، أي نساء هن أم رجال؟ وانما يظهر للرائي الأشباح خاصة. (عمدة القاري ٩٠/٤).

قال التويجري: "وهذا الحديث دليل على أن نساء الصحابة رضي الله عنهن كن يغطين وجوههن، ويستترن عن نظر الرجال الأجانب، حتى إنهن من شدة مبالغتهن في التستر وتغطية الوجوه لا يعرف بعضهن بعضًا، ولو كن يكشفن وجوههن لعرف بعضهن بعضًا، كما كان الرجال يعرف بعضهم بعضًا". (الصارم المشهور ص٨٦).

قلتُ: لا يخفى أن الحديث ليس نصًّا في النقاب أو عدمه، وإنما استدل به جماهير العلماء على وقت صلاة الصبح، ومن استدل به على الحجاب استدل بمفهومه، وهذا الاستدلال يحتمل ما ذهب إليه الفريقان؛ من استدل به على تغطية الوجه، ومن استدل به على كشف الوجه.

وإن كان الأقرب - والله أعلم - بضم رواية أبي يعلى السابقة أنهن كن كاشفات الوجوه، لكن هذا لا يدل على جواز كشف الوجه أيضًا؛ لأن المرأة إذا أمنت أن لا يراها أحد في ظلمة الليل قد تكشف وجهها مستترة بظلام الليل، خاصة أن الرجال كانوا يمكثون بعد الصلاة في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتخلو شوارع المدينة من الرجال، والله أعلم.

الحديث السادس عشر:

عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: إن أبا عمرو بن حفص طلقها ألبتة وهو غائب، فأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته، فقال: والله مالك علينا من شيء، فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، فقال: ليس لك عليه نفقة. فأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: "تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده". (الحديث)، وفي رواية: أن أم شريك يأتيها المهاجرون الأولون فانطلقي إلى ابن أم مكتوم الأعمى؛ فإنك إذا وضعت خمارك لم يرك... وفي رواية... فإني أكره أن يسقط عنك خمارك أو ينكشف الثوب عن ساقيك فيرى القوم منك بعض ما تكرهين، ولكن انتقلي إلى بيت ابن عمك عبدالله بن عمرو ابن أم مكتوم فاعتدي عنده، فإنه رجل أعمى إذا وضعت خمارك لم يرك. (صحيح مسلم وغيره) (أم شريك امرأة غنية من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله عز وجل ينزل عليها الضيفان).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

كيفَ يُعرَفُ الحقُّ في أزمنة الفِتَنِ المزمنةِ؟

إعداد د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله وسلم على الرحمة المهداة والنعمة المسداة ومن تبع هداه، وبعدُ:

فهذا مقالٌ أكتبُهُ نصيحةً لأهل الإسلام؛ فالمؤمنُ ناصحٌ لإخوانه، والمنافق شامت فيهم وغاشٌّ لهم، وأسأل الله أن يزيح عَنَّا غطاء الهوى، وأعوذ بالله من طغيان القلم.

وقد حاولتُ أن أذكرَ فيه بعض الأصول والقواعد التي تَجْمع المتَفَرّق، وتُنِير المَعالم، وتزيلُ الإشكال، وتُعالجُ بعضَ فاسد المفاهيم وسيّئ الخِلال، وتُوضح المُشْتَبه، وتُفَسّر المشكل لا سيما عند الالتباس، وتيسر الضبط للمسير خاصة عند الاشتباه، وتعين على الفهم، وتقوِّم المعوجّ، وتسلكُ بالقاصد السبيلَ الآمنَ والطريقَ الجدَدَ، لا الطريق الوَعْرَ ولا سبيلَ العثَار، والأعمال بالنيّات، وقد جمَّلْتُه بحُسْنِ الدِّيباجة ليكون في أجْمل حُلَّة وأجلِّ حلْيَة فالكلام الحسَن كنَوَافث السِّحْر يصبُو إليه القلبُ، والنفس لا تنجَذِبُ إلا لمعْنَى لطيفٍ يظهرُ في لفظ شريفٍ يكسُوهُ قبولًا ويورثُه أثرًا في النُّفُوس لما فيه من صفَاءِ السَّبْك وبهاء السَّلْك فأقول:

الفتن أسباب وآثار:

إنَّ الفتن التي مُنيت بها الأمة الإسلامية، ورُميت حتى جرتْ دماءُ، وسُلَّتْ سيوفٌ، وحُمل سلاحٌ وسقطتْ جِمَاجِم، وأزهقَت أنفسٌ، وذهبتْ أرواحٌ، وأتلفتْ أموالٌ، ودون ذلك أمور وفوق ذلك أمور، وكل ذلك بسبب تلك المسالك التي سلكها مَن لا يعرفون الفتن ولا يميزونها، ومشتْ وراءهم طوائف مخدوعةٌ ببهرج زائف، ومنخدعةٌ بسرابٍ بقيعةٍ يحسبهُ الظمآن ماءً، ثم كان ما كان من توابع

وآثار مدمَّرة ممَا أسْمَوْه أسماءَ ما أنزل الله بها من سلطانٍ وما تَبِع ذلك من خلاف واختلاف حتى تفرَقُوا أيـادي سبأ وتَمَزّقوا كل مُمَزَّقَ، وتخالفَ أقـوامٌ كانوا أمَّـةً واحـدةً، وتحالَفَ آخـرون مع آخرين بعدما كانوا فرائق بـددًا، وترتَّب على ذلك أيضًا توقُّف المسيرة العلْمية، وتأخُّر القَوَافل الدَّعَوية وتعطُّلها، وسُقوط رموز بدعاوى فارغَة لا تُغني من الحقّ شيئًا وسُقوط أقوام بما أتَوا من البُهتان وولغوا فيه من الـزُّور، وخُفُوت أعلام باجتهادات قد يزلُّ فيها أحدُهم غيرَ قاصدَ الخطأ ولاَ متعمِّدَه، ثم ارتفعتْ على إثْر ذلكَ أقزامٌ، وقامتْ أزلامٌ، وظهرتْ للباطل أقَلام، وبدتْ وجوهٌ علمانية، وتكلمتْ ألسنةٌ مُلحدة شقيَّة، وكشَّرَ الباطلُ عن أنيابه وركبَ أهلُهُ كلَّ مفسَدَة، وعَلَا جندُه على جند الإيمـان، وظهرَ الباطلٌ على الحقّ؛ لأن أكثر القلوب غير ملازمة له بِجهْل أو عِنَاد، بل السوادُ الأعظمُ مجافٍ لهذا الحق ومتجافٍ عنه، وهذه أشد محنة تنزل بالمسلمين حينَ يظنون بالله الظنونا ويبتئس بعضهم «هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا».

ومن كلام العرب: إذا طِرْتَ فَقَعْ قَرِيبًا، غيرَ أنّ قَوْمَنا طارُوا وراء الفتن بعيدًا بهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

وإنما كتبتُ هذا المقال بعد أن حضرني هذا المعْنى وأنا أقرأ سورة يوسف عند قوله تعالى: «الْآنَ حَصْحَصَ الْحَـقُّ»، وجالَت في خاطري بعض هذه المعاني، فلم أجد بدًّا من أن أفصح عما يجولُ في نفسي منذ سنوات، وهـو من الوفاءِ لأمَّتي وكما قيل: دارُ الوفاء لا تخْلُو من كريم ولا يستقرَ فيها لئيمٌ.

وَاعْلَم أنّ الجـوابَ على هذا السؤال ليس مما تهونُ إضاعتُه، ولا تُبْخَس بضاعتُه؛ لذا عقدتُ العزم على الجـواب عليه بما فتح الله به، فإنَّه لا يختلف اثنان، ولا ينتطح عنزان في حقيقة واضحة كشمس النهار المضيئة وقمر الليل المنير أن أَزْمنتَنا قد أزْمَنَتْها الفتن، وآذتْها وأزَّمَتْها المحَنُ حتى خُيِّل للناس أن الخير في نُضُوب، وأن الحقَ قد لَحِقَ أهلَه ضعفٌ ولغوب، ومسَّهُم قحْطٌ ونُضُوب، حتى كاد أمرُهم أن يَؤول إلى اضْمِحْلال وذهاب، وعدم رجوع إلى الصواب وإياب، وبعضهم معذور في ذلك لَشدَّة غليان هذه الفتن حتى لكأنها القدور التي لها أزيز.

أسس النجاة:

أوّلًا: الحرص على مُوافقةِ الكتابِ، والسنَّة، وما عليه سلفُ الأُمَّة:

هـذه الـركـائـزُ الـثـلاثـةُ: الـكـتـابُ العزيز، والسنَّة المشرفة، وما عليه سلفُ الأُمَّـة من منهاج النبوة، تُفصح عن شَيْئين مهمَّيْن، وتُبين عن محورين رئيسيْن في معرفة الواقع وإدراك فقه المراحل:

أولُهما: هو الدليل على الحق من الكتاب الناطق، والحديث النبوي الصادق.

وثانيهما: هـو الفهم العملي والتطبيق الصحيح المستلْهَم من السَلف الصَالح الذين هم عمدتُنا، ومُعوَّلُنا في فهْم ذلك النصّ المتلوَ والمـرويّ، وهـؤلاء القومُ هم الأُمناء فلا بد أن تكون القدوة فيهم ممَن بعدهم، ولا عجب فالقوم زكاهـم الله تعالى في الآيـات وأثنى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الثابتة عنه.

وبفهم السلف يُحرز المرءُ نفسه من الأهواء والضلالات، ويفتَكُّها من أغْلَال الهَوى، ويَقيها ضلالَ الأصحاب، ويفْتَديها من اتِّباع كلِّ ناعق.

قال ابْنُ المُفَضَّل المقدسي:

أَيَا نَفْسُ بِالمَأْثُوْرِ عَنْ خَيْرِ مُرْسَلِ
وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِيْنَ تَمَسَّكِ
عَسَاكِ إذَا بَالَغْتِ في نَشْرِ دِينِه
بِمَا طَابَ مِنْ نَشْرٍ لَهُ أَنْ يَمَسَّكِ

ثانيًا: الرُّجُوع إلى أهْلِ العلْم بمآلاتِ الأُمُور:

قال تعالى: «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ»، وترك الرجوع إلى هؤلاء الأعلام وذوي الأفهام يجعل المـرء ممن قـال فيهم صلى الله عليه وسلم: "اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًـا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا

فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ علْم، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"، فمعرفة مآلاتِ الأُمورِ أمرٌ لا يُدركه إلا أعيانُ العلماءِ، أما المتوسطون وطلاب العلم والمبتدؤون؛ فقد يغيب عنهم ذلك وربما ظن كثيرون الصواب في الخطأ الصريح الواضح، وقد يُخدع كثيرون بالمظهر أو بالشعارات الفارغة المحتَوى والأقاويل الزَّائفة.

إنَّ الأفاعيَ وإن لانَتْ ملامسُها
عند التقلُّبِ في أنيابِها العَطَبُ

والعرب تقول في صاحب الحذر والحزم: "أحزم من الحرباء"؛ لأنها لا تُرسل غُصنًا إلّا أمسكَتْ بآخر ولذا يُشَبَّه بها الرجلُ الحصيفُ الذي لا يترك شيئًا إلا أخذَ بسببٍ أمْتَنَ منْهُ.

ومن تأمّل النظرَ في العواقبِ وجدَ فيها تلقيحَ العُقُول، وَوَجَدَ اتِّساعَ الآفاقَ وبُعدَ النَّظر وجودة الرؤية وحسن الرويَّة فلا يبق خيرًا إلا قدَمه ولا عهدًا إلا أحْكَمه، ولا عَقْدَ برٍّ إلا أبْرَمَه، فتجدُه في الحُقوقِ قاضيًا، وفي الحقائق ماضيًا، حتى تكون الفتوح معقودةً بأقاليد آرائه ومقاليد غَنائه، ولا يكون هذا إلا بصُحْبَة أهلَ العلم وذَوِي الفَهم والنَّظَر، ومن رَزَقَهم الله الخبرةَ بالأمور والبصرَ، فإن هؤلاء لا تُثْمر صحبتُهم إلا الفهمَ والعلمَ والعملَ والخيرَ كلَّ الخيرِ كما قال زُهَيْر بن أبي سُلمى:

وهلْ يُنبتُ الخطيُّ إلّا وشيجَهُ
وتُغرسُ إلّا في مَنَابِتِها النخلُ

المرجع الصحيح من أهل العلم:

إنّ من أشدّ الآفات التي يُعاني منها المسلمون في زماننا أنهم لا يرجعون إلى أهل العلم في أمورهم وأكثر الراجع منهم من يرجع إلى من يهواه من العلماء ويتفق مع مراده وميله بل ينبغي التعويلُ على رأي الجمهور الأعْظَم من أهل العلم لا سيّما مع كثرة الخلاف ووقوع النّاس في الحيْرَة فالحقّ غالبًا في مثل هذه الأحايين مع الجمهور.

مَن هم العلماء؟

واعلم أن المراد بالعلماء هم: العاملون بالعلم، فهذا هو العلم المعتبر الذي يكون جَمَالًا لا يَخْفى ونَسَبًا لا يُجْفَى.

ولهذا قال ابن مسعود: إنما العلمَ الخشية، ولما قيل للشعبي: يا عالم، قال: إنما العالم من يخشى الله.

قال الشاطبي رحمه الله: "الْعِلْمُ الَّذي هُوَ الْعِلْمُ الْمُعْتَبَرُ شَرْعًا؛ أَعْني الَّذي مدح الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أَهْلَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ هُوَ الْعِلْمُ الْبَاعثُ عَلَى الْعَمَل، الَّذي لَا يُخَلِّي صَاحِبَهُ جَارِيًا مَعَ هَوَاهُ كَيْفَمَا كَانَ، بَلْ هُوَ الْمُقَيِّدُ لصَاحِبه بِمُقْتَضَاهُ، الْحَاملُ لَهُ عَلَى قَوَانينه طَوْعًا أَو كَرْهًا" اهـ (الموافقات:١/٨٩).

وبعض الناس قد يُظن به أنه من أهل العلم وليس كذلك بل (حَقيقَةُ أَصْله وَهْمٌ وَتَخْييلٌ لَا حَقيقَةَ لَهُ، مَعَ مَا يَنْضَافُ إِلَى ذَلكَ منَ الْأَغْرَاض وَالْأَهْوَاءِ؛ كَالْإغْرَاب باسْتجْلَاب غَيْر الْمَعْهُود، والْجَعْجَعَة بإِدْرَاك مَا لَمْ يُدْركْهُ الرَّاسخُونَ، وَالتَّبَجُّح بأَنَّ وَرَاءَ هَذه الْمَشْهُورَات مُطَالبَ لَا يُدْركُهَا إِلَّا الْخَوَاصُّ، وَأَنَّهُمْ منَ الْخَوَاصّ، وَأَشْبَاه ذَلكَ ممَّا لَا يَحْصُلُ منْهُ مَطْلُوبٌ، وَلَا يَحُورُ منْهُ صَاحبُهُ إِلَّا بالافْتضَاح عنْدَ الامْتحَان) (الموافقات: ١/١٢١).

رأس الأفعى:

واعلم أن من أعظم أسباب الفتن التي نعيشها استماعَ كلام الأحْداث والصّغار في العلم والفهم، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا وُسِّد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة"، وقوله صلى الله عليه وسلم أيضًا: "اتَّخذ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا فسُئِلوا فأفْتَوْا بغير علم فَضَلُّوا وأَضَلُّوا".

وأنا أسأل متعجبًا: متى صار الهلال بدرًا، والشبل ليثًا، والغصن ساقًا، والقَطوف معتاقًا، حَتّى يتكلم هؤلاء الأصاغر، ويُرْجَع إليهم في المهمّات والنَّوَازل؟! إنّ التثبتَ يُسهِّل الطريقَ إلى الإصابة، فتثبَّتْ ممّا تسمعُ، وممّا تقول ولا تَسْمع إلا للمُتَثبِّتين لئلا تزلَّ بك قدمٌ بعد ثُبُوتها فتذوقَ السُّوء وتندمَ وقْتَمَا لا ينفع النَّدمُ.

وللحديث بقية إن شاء الله،
والحمد لله رب العالمين.

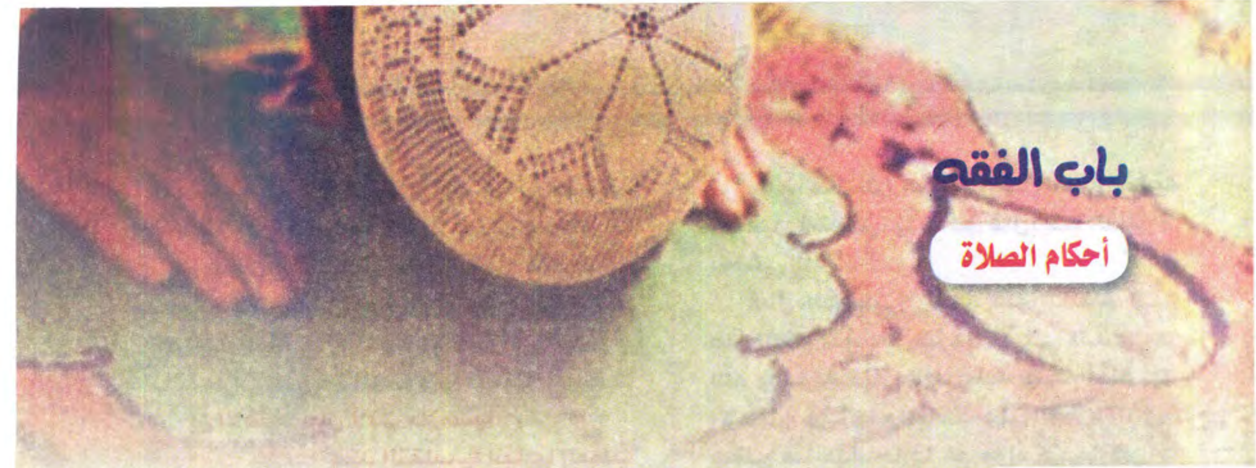

باب الفقه

أحكام الصلاة

الحلقة الأولى

صلاة التطوُّع

إعداد **د. حمدي طه**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فصلاة التطوع: هي ما طُلبَ فعلها من المكلف زيادة على الفرائض طلبًا غير جازم وحكمها: أنه يثاب على فعلها ولا يُعاقب على تركها. وكما تُسمَّى هذه الصلاة صلاة التطوع فإنها تسمى أيضًا صلاة السُّنة، وصلاة النافلة، وهذه الأسماء الثلاثة هي لمسمًّى واحد.

أولاً: فضل صلوات التطوع:

صلاة التطوع تَجْبُر النقص الحاصل في صلاة الفريضة يوم القيامة، وهذا فضل لا شك فيه لصلاة التطوع، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله- صلى الله عليه وسلم - يقول: «إن أول ما يُحاسَب به العبد المسلم يوم القيامة الصلاة المكتوبة، فإن أتمَّها وإلا قيل انظروا هل له من تطوع، فإن كان له تطوع أكملت الفريضة من تطوعه، ثم يُفعل بسائر الأعمال المفروضة مثل ذلك» رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة. ولهذا الحديث شاهد من رواية تميم الداري عند أبي داود وابن ماجه.

وصلاة التطوع سببٌ لمرافقة النبي في الجنة؛ فعن ربيعة بن كعب بن مالك الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: "سل". فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: "أو غير ذلك؟". قلت: هو ذاك! قال: " فأعني على نفسك بكثرة السجود" أخرجه مسلم وأصحاب السنن.

وصلاة التطوع سببٌ لرفع الدرجات وحطّ الخطايا؛ فعن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة (أو قال: قلت: بأحب الأعمال إلى الله)؟ فسكت، ثم سألته؟ فسكت، ثم سألته الثالثة؟ فقال: سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " عليك بكثرة السجود لله؛ فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط بها عنك خطيئة". قال معدان: ثم لقيت أبا الدرداء، فسألته؟ فقال لي مثل ما قال لي ثوبان.

وجاء في فضل صلاة التطوع عن أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير فريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة

(أو: إلا بنى له بيت في الجنة)". أخرجه مسلم.

وجاء بيان هذه الركعات في رواية للترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ثابر على ثنتي عشرة ركعة من السنة بنى الله له بيتًا في الجنة: أربع ركعات قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر. وصححه الألباني

أنواع صلوات التطوع:

التطوعات قسمان: أحدهما: ما تسنّ له الجماعة، وهو صلاة الكسوف، والاستسقاء، والتراويح. والثاني: ما يُفعَل على الانفراد وهي قسمان: سنة معينة، ونافلة مطلقة.

التطوع على الانفراد نوعان:

الأول: التطوع المطلق، وهو الذي لم يأت فيه الشارع بحدٍّ. فمثلاً: صدقة التطوع لك أن تتبرع في سبيل الله بما شئت، ولو نصف تمرة، ولك أن تتطوع بالصلاة في الليل والنهار مثنى.

ولكن في هذا التطوع المطلق ينبغي أن لا يداوم عليه مداومة السنن الراتبة.

الثاني: التطوع المقيد، وهو ما جاء له حد في الشرع.

فمثلاً: من أراد أن يأتي بسنة الفجر الراتبة؛ لا يتحقق منه الإتيان بها إلا بركعتين قبل صلاة الفجر بعد دخول وقتها بنية راتبة الفجر، وكذا مثلاً: من أراد أن يصلي صلاة الكسوف؛ لا تتحقق صلاته إلا بالصفة المشروعة، وكذا صلاة العيدين... وغيرها من السنن التي جاء الشرع لها بوصف معين. (بغية المتطوع في صلاة التطوع بقلم: محمد بن عمر بن سالم بازمول).

وصلاة التطوع منها ما له وقت معين مخصوص كصلاة السنن الراتبة، وصلاة الضحى، وصلاة الوتر، ومنها ما ليس له وقت معين مخصوص كصلاة الاستخارة، كما أن هذه الصلاة منها ما له سببٌ كتحية المسجد، وسجود التلاوة، وصلاة الكسوف، ومنها ما ليس له سببٌ كقيام الليل. وسوف نتناول صلاة التطوع المقيد بشيء من التفصيل:

أ- السُّنَنُ الراتبة المؤكدة

المقصود بالسنن الرواتب: الصلوات التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها وواظب عليها أو يرغب في صلاتها مع الصلوات الخمس المفروضة؛ قبلها أو بعدها، فلم يتركها مطلقًا في حالة الحضر.

عدد ركعات السنن الرواتب:

اختلف أهل العلم في ماهية هذه السنن الرواتب وعددها؛ فعند الحنفية اثنتا عشرة ركعة: ركعتان قبل صلاة الفجر (الصبح)، وهما آكد (أقوى) السنن، وأربع ركعات قبل صلاة الظهر بتسليمة واحدة، أو بتسليمتين، وركعتان بعد الظهر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء.

وعند المالكية: يتأكد النفل قبل صلاة الظهر وما بعدها، وقبل صلاة العصر، وبعد صلاة المغرب، والعشاء، بلا تحديد بعدد معيّن، فيكفي في تحصيل الندب ركعتان، والأولى بعد كل صلاة عدا المغرب أربع ركعات، وبعد المغرب ست ركعات.

وعند الشافعية سبع عشرة ركعة: ركعتا الفجر، وأربع قبل الظهر، وركعتان بعدها، وأربع قبل العصر، وركعتان بعد المغرب، وثلاث بعد العشاء يوتر بواحدة منهن. والواحدة هي أقل الوتر، وأكثره إحدى عشرة ركعة.

وعند الحنابلة عشر ركعات: ركعتان قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل الفجر. (انظر تفصيل هذه المذاهب في كتاب الفقه الإسلامي وأدلَّته، د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ).

وأقرب هذه الأقوال إلى الصواب أنها إما عشر ركعات أو اثنتا عشرة ركعة:

وهذه الركعات هي: ركعتان قبل صلاة الصبح، وركعتان قبل صلاة الظهر وركعتان بعدها، وركعتان بعد صلاة المغرب، وركعتان بعد صلاة العشاء، فهي عشر ركعات في اليوم والليلة، والأصل في ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لا يدع ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين

بعد العشاء، وركعتين قبل الصبح» (رواه أحمد).

ووجه الدلالة في قول ابن عمر رضي الله عنهما: "التي لا يدع" مواظبة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- على هذه الركعات، قال ابن قدامة الحنبلي: ولنا ما روى ابن عمر قال: "حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب في بيته، وركعتين بعد العشاء في بيته، وركعتين قبل الصبح، كانت ساعة لا يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فيها، حدثتني حفصة أنه كان إذا أذن المؤذن وطلع الفجر صلى ركعتين (المغني ١/ ٧٩٨).

وفي رواية أخرى قال: "وأخبرتني أختي حفصة أنه كان يصلي سجدتين خفيفتين إذا طلع الفجر، قال: وكانت ساعة لا أدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فيها».

فهذه عشر رَكَعات، وهي السنن الراتبة المؤكدة التي لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي أقل منها. وقد اختصت بالثبوت والدوام دون تفريط.

أما من ذهب إلى أنها اثنتا عشرة ركعة فقالوا: هي ركعتان قبل صلاة الفجر، وأربع قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وقد احتجوا بحديثي أم حبيبة، وعائشة زوجتي النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهما، وقد سبق ذكرهما، ولحديث عائشة رضي الله عنها: «أن النبي صلَى الله عليه وسلم كان لا يدع أربعًا قبل الظهر، وركعتين قبل الغداة» رواه البخاري.

وعن عبد الله بن شقيق قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تطوعه؟ فقالت: كان يصلي في بيتي قبل الظهر أربعًا، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يدخل فيصلي ركعتين، وكان يصلي بالناس المغرب، ثم يدخل فيصلي ركعتين، ويصلي بالناس العشاء، ويدخل بيتي فيصلي ركعتين، وكان يصلي من الليل تسع ركعات فيهن الوتر، وكان يصلي ليلاً طويلاً قائمًا، وليلاً طويلاً قاعدًا، وكان إذا قرأ وهو قائم؛ ركع وسجد وهو قائم، وإذا قرأ قاعدًا؛ ركع وسجد وهو قاعد، وكان إذا طلع الفجر؛ صلى ركعتين". (أخرجه مسلم ١٧٣٣).

وجه الدلالة من حديثي عائشة رضي الله عنها إثبات زيادة ركعتين في سنة الظهر القبلية عما ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وزيادة الثقة مقبولة، وبخاصة أنها زوج النبي صلَى الله عليه وسلم وهي أدرى بحاله من غيرها، ويزيد الأمر قوة أن الثابت من سنته صلَى الله عليه وسلم أنه كان يصلي النوافل في بيته.

قال أبو عيسى الترمذي: "والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم؛ يختارون أن يصلي الرجل قبل الظهر أربع ركعات، وهو قول سفيان الثوري، وابن المبارك، وإسحاق، وأهل الكوفة. (انظر سنن الترمذي في التعقيب على الحديث رقم ٤٢٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "قال الداودي: وقع في حديث ابن عمر "أن قبل الظهر ركعتين". وفي حديث عائشة "أربعًا"، وهو محمول على أن كل واحد منهما وصف ما رأى. قال: ويحتمل أن يكون نسي ابن عمر ركعتين من الأربع. قلت: هذا الاحتمال بعيد، والأولى أن يُحمل على حالين: فكان تارة يصلي ثنتين وتارة يصلي أربعًا، وقيل: هو محمول على أنه كان في المسجد يقتصر على ركعتين وفي بيته يصلي أربعًا، ويحتمل أن يكون يصلي إذا كان في بيته ركعتين، ثم يخرج إلى المسجد فيصلي ركعتين، فرأى ابن عمر ما في المسجد دون ما في بيته، واطلعت عائشة على الأمرين. (فتح الباري: ٤/ ١٨٠).

وللحديث بقية عن صلاة التطوع، إن شاء الله تعالى.

دروس من غزوة تبوك

إعداد عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله الذي له مقاليد السماوات والأرض، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على البشير النذير وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فموضوعنا اليوم مستفاد من غزوة تبوك ومن تعقيبات القرآن الكريم على هذه الغزوة، وسورة براءة أو سورة التوبة جل حديثها عن غزوة تبوك؛ فقد نزلت السورة تواكب هذه الغزوة العظيمة عند الإعداد لها وفي أثنائها، وبعد عودة النبي صلى الله عليه وسلم وجيشه المبارك الميمون منها، وهكذا عادة القرآن حين يواكب مسيرة الدعوة موجهًا ومرشدًا ومثبتًا للعزائم ومثنيًا على الجهود الصادقة، ومبينًا الأخطاء التي وقعت وداعيًا إلى تلاشيها في المستقبل وفاضحًا خبايا قلوب المنافقين، وما انطوت عليه من حقد دفين على الإسلام والمسلمين ومحذرًا من مسالكهم الملتوية وموالاتهم لأعداء الإسلام، ونحن قد سبق لنا الحديث عن غزوة تبوك التي وقعت في العام التاسع الهجري وكانت بدايتها في شهر رجب من ذلك العام، وتحدثنا عن أسبابها ونتائجها وبعض الدروس المستفادة منها.

لكن حديثنا اليوم مع التعقيب القرآني الكريم على أحداث هذه الغزوة في قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ) (التوبة:١١٩).

وهذا نداء وأمر للأمة الإسلامية بأسرها منذ فجر الدعوة إلى أصحاب النبي وإلى المسلمين في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وهذا التوجيه القرآني يشمل أمرين:

١- تقوى الله.

٢- أن يكونوا مع الصادقين.

والصدق لا شك من أهم صفات المتقين، لكن القرآن الكريم أفرده هنا لبيان أهميته ومكانته، ولاحظ قوله تعالى: (كونوا مع الصادقين)، ولم يقل: كونوا صادقين، والمقصود من ذلك أن القرآن أعطانا أمثلة واقعية للصادقين في هذه الغزوة، وطلب منا أن نكون مثلهم، وأن نتأسى بهم؛ فهذه أمثلة عملية وقدوة حسنة علينا أن نتأسى بهم.

والصادقون الذين أشارت إليهم الآية هنا ثلاث فئات:

١- الفئة الأولى:

هم الذين صدقوا في بيع أنفسهم وأموالهم لله كما جاء في قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ

ٱلْعَظِيمُ) (التوبة: ١١١).

ومما لا شك فيه دخول الذين شاركوا وسارعوا للمشاركة في غزوة تبوك بأموالهم وأنفسهم أمثال أبي بكر رضي الله عنه الذي شارك بماله ونفسه، وجاء بماله كله ووضعه أمام النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي: (ما تركت لأهلك؟) قال: تركت لهم الله ورسوله.

فقبل منه النبي؛ لأنه يعلم درجة إيمان أبي بكر وصدقه.

وجاء عمر بنصف ماله، والحديث عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق (أي: في غزوة تبوك)، فوافق ذلك مالاً عندي. فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا. قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما أبقيت لأهلك؟) قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال: (يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟) قال: أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبدًا). (والحديث رواه أبو داود، والترمذي، وحسنه الألباني).

وكذلك جاء عبدالرحمن بن عوف بألفي درهم وهي نصف ماله، وجاء في سنن الترمذي من حديث عبدالرحمن بن سمرة أن عثمان رضي الله عنه جاء بألف دينار من الذهب فنثرها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. هذا غير ما أعدّه من العتاد والسلاح. وغيرهم كثير تسابقوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله.

وينسحب هذا الوصف على كل من شارك في غزوة تبوك بنفسه وماله، كذلك ينسحب على المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله، وهم الذين ذكرهم الله سبحانه في قوله تعالى: (لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ) (سورة الحشر: ٨).

ويدخل في هذا الوصف من عرّفهم الله سبحانه بقوله: (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ) (الحجرات: ١٥).

وهذا حالهم عند النفير للجهاد والمشاركة فيه بالنفس والمال، وفي حال السلم استقاموا على منهج الله كما وصفهم سبحانه وتعالى بقوله: (ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ) (التوبة: ١١٢).

هؤلاء هم الفئة الأولى من الصادقين، وقد أثنى الله سبحانه عليهم بقوله: (وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) (التوبة: ١٠٠).

وأنت تلاحظ أن هذه الفئة ممتدة من جيل الصحابة رضي الله عنهم إلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

٢-الفئة الثانية: المستحقة لوصف الصدق في تبوك، وهم أولئك الذين نزل فيهم قوله تعالى: (وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ) (التوبة: ٩٢)؛ فهؤلاء الذين لا يجدون ما ينفقون في سبيل الله، ولا يملكون عتادًا ولا وسيلة تنقلهم من المدينة إلى تبوك، وهي مسافة طويلة، ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم ما يحملهم عليه من خيل ولا ركاب فتولوا يعصرهم الحزن والألم من حرمانهم من المشاركة في الجهاد؛ فهؤلاء بإخلاصهم وصدق نواياهم شاركوا المسلمين المجاهدين فعلاً وهم الذين أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: "رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: إِنَّ أَقْوَامًا خَلْفَنَا بِالمدينة مَا سَلَكْنَا شِعْباً وَلاَ وَادِياً إِلاَّ وَهُمْ مَعَنَا، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ"

فهؤلاء بإخلاصهم لله ونياتهم الصالحة شاركوا المجاهدين في الأجر؛ بسبب عدم استطاعتهم الذهاب معهم، فهم شاركوا المجاهدين في الأجر كأنهم معهم. وهكذا كل صادق في نيته نوى خيرًا ولم يستطع فعله بسبب خارج عن إرادته.

٣- الفئة الثالثة:

من الصادقين الذين أمرنا الله أن نكون منهم

هؤلاء الثلاثة الذين ذكرهم الله سبحانه في قوله:
(وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ) (التوبة: ١١٨).

وهؤلاء الثلاثة هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع. وقد تخلّفوا عن الغزوة كسلاً دون أن يكون عندهم عذر مقبول، لكنهم لم يفعلوا كما فعل المنافقون حين جاؤوا إلى رسول الله بأعذار كاذبة ويحلفون الأيمان الكاذبة، وينتحلون المعاذير لرسول الله عن سبب تخلفهم، فأعرض عنهم النبي صلى الله عليه وسلم وترك حسابهم على الله، وقد نزل فيهم قوله تعالى: (يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة: ٩٤).

وهكذا فضحت السورة كذب المنافقين، وكشفت ما كمن في صدورهم، ولذلك كان من أسمائها (الفاضحة). أما هؤلاء الثلاثة من المؤمنين فلم يكذبوا الله ورسوله وصدقوا وبينوا؛ لأنهم يعلمون أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهكذا يروي كعب بن مالك فيما اتفق عليه الشيخان يروى قصته في حديث طويل نقتطف منه جزءًا يسيرًا بعد أن نزلت البشرى من الله بالتوبة عليه وعلى صاحبيه بعد خمسين يومًا من الابتلاء، وقد اعتزلهم مجتمع المدينة بأسره بأمر النبي حتى تم التفريق بينهم وبين زوجاتهم. وجاء مالك بعد أن نزلت توبته من الله في الآيات التي سبق ذكرها جاء مالك ليسلِّم على النبي ويسمع منه مشافهة قال: " فَانْطَلَقْتُ إلَى النَّبيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فَإذَا هُوَ جَالسٌ في المَسْجد وَحَوْلَهُ المُسْلمُونَ وَهُوَ يَسْتَنيرُ كَاسْتنَارَة الْقَمَر، وَكَانَ إذَا سُرَّ بالأمْر اسْتَنَارَ، فَجئْتُ فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْه، فَقَالَ: أَبْشرْ يَا كَعْبُ بْنَ مَالك بخَيْر يَوْم أَتَى عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ. فَقُلْتُ: يَا نَبيَّ اللهِ أمنْ عنْد الله أمْ منْ عنْدكَ؟ قَالَ: بَلْ منْ عنْد الله ثُمَّ تَلَا هَؤُلَاء الْآيَات «لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبيِّ وَالْمُهَاجرينَ وَالْأَنْصَار الَّذينَ اتَّبَعُوهُ في سَاعَة الْعُسْرَة «حَتَّى بَلَغَ» إنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ» قَالَ: وَفينَا أُنْزلَتْ أَيْضًا «اتَّقُوا الله وَكُونُوا مَعَ الصَّادقينَ» قَالَ: قُلْتُ يَا نَبيَّ الله إنَّ منْ تَوْبَتي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إلَّا صدْقًا وَأَنْ أَنْخَلعَ منْ مَالي كُلِّه صَدَقَةً إلَى الله وَإلَى رَسُوله. فَقَالَ النَّبيُّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: أَمْسكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. فَقُلْتُ فَإنِّي أُمْسكُ سَهْميَ الَّذي بخَيْبَرَ، قَالَ: فَمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ نعْمَةً بَعْدَ الْإسْلَام أَعْظَمَ في نَفْسي منْ صدْقي رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ حينَ صَدَقْتُهُ أَنَا وَصَاحبَايَ، وَلَا نَكُونُ كَذَبْنَا فَهَلَكْنَا كَمَا هَلَكُوا، وَإنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ اللهُ أَبْلَى أَحَدًا في الصِّدْق مثْلَ الَّذي أَبْلَاني مَا تَعَمَّدْتُ لكَذْبَة بَعْدُ، وَإنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَني اللهُ فيمَا بَقيَ".

وهكذا كل من وقع منه تقصير أو قارف ذنبًا صغيرًا كان أو كبيرًا، ثم صدق مع الله في توبته فهو يدخل تحت مسمى الصادقين؛ لأن الله سبحانه وتعالى وصف المتقين بقوله: (وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ) (آل عمران: ١٣٥ - ١٣٦).

وهكذا حال المؤمن في كل حالاته؛ يَصْدُق الله في جهاده، وفي نيته، وفي توبته، في قوله وعمله، وفي كل أحواله؛ متأسيًا بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين، وقد وجَّه الله عباده إلى استشعار حالة الصدق والثبات عليها في كل أوقاتهم، ومعنى هذا ألا يكونوا من المنافقين؛ لأن المنافقين هم أكذب الخلق وهم الذين يعادون الله ورسوله ويعادون المؤمنين ويوالون أعداء الله في كل زمان ومكان فنحن نعوذ بالله من ذلك ونسأله أن نكون ممن قال الله فيهم: (مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا) (الأحزاب: ٢٣).

والحمد لله رب العالمين.

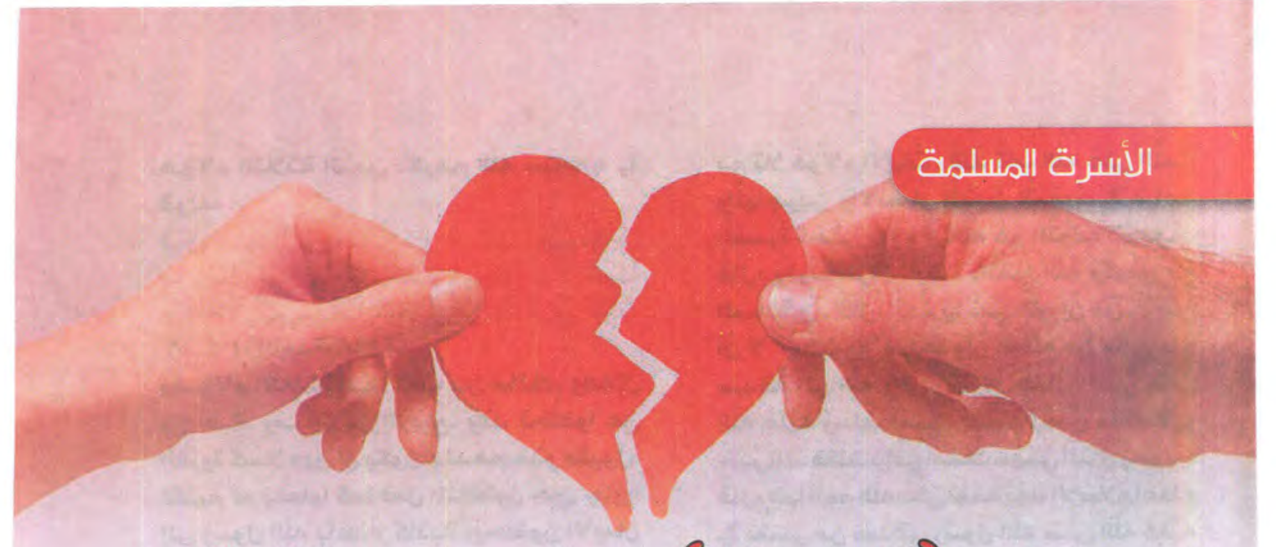

عام (٢٠١٨) ومليون مطلقة

إعداد **جمال عبد الرحمن**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، وهو الأعلم بما خلق، وبما أودع فيه من فطرة وغريزة، وفجور وتقوى، وهو الأعلم سبحانه بأدواء هذه النفوس وآفاتها، وما تحبه وما تكرهه في كل أطوار حياتها، كذلك فهو الأعلم جل وعلا بما يصلحها وما يفسدها، لذا كان لزامًا لمن أراد أن يورد نفسه موارد السعادة دنيا وآخرة؛ أن يتحرى منهج الصانع سبحانه القيوم القائم على كل نفس بما كسبت.

وباتباع منهج الله سبحانه وتعالى لمن أراد تأسيس الأسرة المسلمة فسيكون أساسها متينًا، وطريقها مستقيمًا. يكفل للأسرة السعادة في الدنيا، والفلاح في الآخرة.

وقد ذكرت جريدة اليوم السابع بتاريخ ٥ سبتمبر ٢٠١٧م، وكذلك بوابة الأهرام بتاريخ: ٤ فبراير ٢٠١٩م الإثنين أنه وفقًا للإحصاءات والبيانات الرسمية، في مستهل العام الجاري، فإن حالة طلاق واحدة تحدث كل ٤ دقائق، ومجمل الحالات على مستوى اليوم الواحد تتجاوز ٢٥٠ حالة، لا تزيد مدة الزواج في بعض الحالات أكثر من عدة ساعات بعد عقد الزواج، إذ تشهد محاكم الأسرة طوابير طويلة من السيدات المتزوجات والراغبات في اتخاذ القرار الصعب في حياتهن، بلجوئهن إلى المحكمة المتخصصة في الأحوال الشخصية. وأن مصر الأولى عالميًّا في تعداد حالات الطلاق، فلماذا مصر الأولى عالميًّا في هذا؟ هل لأنها أم الدنيا؟ أم لأنها تحتضن أعلى وأعرق مؤسسة علمية دينية؟ أسئلة تحتاج إلى إجابات.

وإذا كان هذا عرضًا للمشكلة؛ فما الأسباب والعلاج؟

أسباب المشكلة:

١- الإعلام الفاسد:

وهذا السبب يعد من أهم الأسباب وأخطرها؛ حيث امتلأت بيوت المسلمين بأفلام لا تتسم بأدب ولا حشمة، ولا هدف نبيل محترم.

ومنذ زمن بعيد وأصحاب الأهواء يقولون: إن الأفلام تعالج مشاكل اجتماعية وغيرها، وكانوا يلحون بفرض هذه الفكرة وترويجها، على نفس طريقة المثل القائل: "إن الجمل طلع النخلة"، وكذّب الواقع هذا المثل بفكرة: ها هو الجمل وها هي النخلة!! والواقع دليل قاطع، فقد كذّب المغالطين الذين قالوا: إن الأفلام تعالج مشاكل اجتماعية. والسؤال الواقعي المهم المنطقي، ما هي المشاكل التي عالجها الإعلام بالأفلام؟

فالعكس هو الصحيح، فقد اكتظ المجتمع

بالمشاكل المتفاقمة، المعقدة المتراكمة، وما ارتفاع حالات الطلاق إلى هذا المعدل المزعج المخيف إلا واحدة من الثمرات المُرَّة التي غرس شجرتها شياطين الإنس، وسقوها بماء وحي شياطين الجن، الذين (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) (الأنعام: ١١٢).

فالأفلام والمسلسلات والمسرحيات الهابطة؛ في الوقت الذي يزعم تيارها وأصحابها أنهم يعرضون مشكلة وحلها، يكونون قد عرضوا على الناس بمختلف أعمارهم عشرات المشاكل، من تعليم الكذب والاحتيال والغش والخداع والاختلاط.

فقل لي بربك إذا كانت هذه الأفلام تُعرَض في اليوم والليلة مرات عديدة وأفلام متنوعة، وأشخاص غير الأشخاص، ثم استمر الناس على ذلك كأداة تسلية وترفيه أعوامًا عديدة، فكيف يكون الجيل بصحبة أجهزة وبرامج هي في الحقيقة أدوات ضلال وانحراف؟!!

فهل سينكر المنحرفون أخلاقيًا ودينيًا ومنهجيًا ما آل إليه وضع المجتمع من كثرة الطلاق وتعسر الزواج وانتشار زواج السر وكثرة اللقطاء وازدياد العنوسة، مما يسبب انتشار الفاحشة، وبعد ذلك يحسبون أنهم مهتدون.

ثانيًا: تنحية الدين عن قيادة الناس وحكمهم:

فالمقولة المنتشرة في حياة أكثر الناس في مراحل تعليمهم، وجوانب كثيرة من حياتهم، أن الدين مادة غير أساسية.

الدين ضرورة قصوى:

ولقد خلق الله عز وجل الإنسان لعبادته فقال تعالى:«وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ». الذاريات٥٦ــ٥٧. وكَرَّمه على سائر المخلوقات؛ فقال تعالى: « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا » (الإسراء: ٧٠). وخلقه في أحسن تقويم، قال تعالى: « لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» (التين: ٤). وأعطاه العقل الذي هو بمثابة القوّة التي تحرّكه، فالعقل هو تلك الأداة التي يفكّر ويتفكّر بها الإنسان ليحقّق الغاية التي خُلق من أجلها وهي عمارة الأرض. قال تعالى: «هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ » (هود: ٦١).

فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي كلّفه الله جل وعلا بعمارة الأرض، وذلك أن أبانا آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة التي اختبره الله تعالى بعدم الأكل منها هو وزوجه حواء بوسوسة الشيطان لهما؛ أخرجهما الله تعالى من الجنة وأهبطهما إلى الأرض: « وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ» (البقرة: ٣٦). إلا أنَّه سبحانه وتعالى لم يترك الإنسان هائمًا على وجهه في هذا العالم بل جعل له منظومة من العقائد، والمفاهيم، والأحكام، والأخلاق والتي تندرج جميعها تحت الدين، وهي في مجملها الهدى والمنهج والدين الذي ينظّم حياة الإنسان ويجعله يحقّق الغاية من خلقه، «قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » (البقرة: ٣٨). وبهذا المنهج ضمن الله تعالى لمن استقاموا عليه ألا يضل ولا يشقى، فقال جل شأنه: «فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ » (طه: ١٢٣). وجعل الله سبحانه وتعالى ضمان العيش الرغد والماء الغدق من وراء الاستقامة على أمره سبحانه وتعالى فقال جل شأنه: «وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ⑯ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ » (الجن: ١٦، ١٧).

قال مقاتل في تفسيره:

«وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا »- (الجن: ١٦) يعني كثيرًا من السماء، وهو المطر- بعد ما كان رفع عنهم المطر سبع سنين- فيكثر خيرهم، «لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ»: يقول: لكي نبتليهم فيه بالخصب والخير، كقوله تعالى في سورة الأعراف: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا»؛ يقول: صدَّقوا، «وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ» يعني المطر «وَالْأَرْضِ»: يعني به النبات. تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٤٦٤).

وفي المقابل توعد الله تعالى وهدد المعرضين عن ذكره وهديه بالمعيشة الضيقة الضنكة، التي لا سعادة فيها ولا خير حتى إنك لتجد كثيرًا من الناس استخدموا مصطلحًا محدثًا ما هو إلا تعبير عن هذا الضيق والضنك، يقول الرجل: أنا مخنوق، وتقول المرأة: أنا مخنوقة، والآية الكريمة عبرت عن هذا في قوله تعالى:« وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ

لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ » (طه: ١٢٤- ١٢٦).

وفي قوله أيضا: « وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ». الجن/١٧. يعني شدة العذاب الذي لا راحة له.

فأيّ إنسان على وجه الأرض لا يستطيع أن يعيش دون وجود الدين، فحاجة البشريّة إلى الدين كحاجة الأرض إلى الماء، فهو بالنسبة لهم أهمّ من أيّ شيء في هذه الحياة.

نماذج من أصحاب الديانة عند الخلافات:

١- جميلة بنت أبَيّ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة ثابت بن قيس رضي الله عنه أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس، ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتردين عليه حديقته؟» قالت: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة». (صحيح البخاري ح٥٢٧٣).

وامرأة ثابت اسمها جميلة بنت أبي بن سلول. كرهت صورة زوجها لكنها لم تنكر عليه معاملته ودينه وخلقه فقالت: ما أعتب عليه ولا أعيبه ولا ألومه. لكنني أكره الكفر: أي أن أقع في أسباب الكفر وهي المعاصي التي هي شعَب الكفر؛ من سوء العشرة مع الزوج ونقصانه حقه ونحو ذلك. فأخبرها النبي صلى الله عليه وسلم أنها بذلك تختلع منه وهذا يستوجب أن ترد عليه مهره الذي أمهره لها وهي حديقته وبستانه الذي أعطاها إياه مهرًا لها عند الزواج، فوافقت بلا أدنى تردد، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام زوجها بأن يأخذ منها الحديقة، ويطلقها تطليقة، يعني طلقة واحدة رجعية.

فالصالحات قانتات:

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: بلغني أنه كان ببغداد رجل بزاز له ثروة، فبينا هو في حانوته أقبلت إليه صبية فالتمست منه شيئًا تشتريه، فبينا هي تحادثه كشفت وجهها في خلال ذلك، فتحير، وقال: قد والله تحيرت مما رأيت، فقالت: ما جئت لاشتري شيئًا إنما لي أيام أتردد إلى السوق ليقع بقلبي رجل أتزوجه وقد وقعت أنت بقلبي ولي مال، فهل لك في التزوج بي؟ فقال لها: لي ابنة عم وهي زوجتي وقد عاهدتها ألا أغيرها ولي منها ولد، فقالت: قد رضيت أن تجيء إلي في الأسبوع نوبتين فرضي وقام معها فعقد العقد ومضى إلى منزلها فدخل بها.

ثم ذهب إلى منزله فقال لزوجته: إن بعض أصدقائي قد سألني أن أكون الليلة عنده ومضى فبات عندها وكان يمضي بعد الظهر إليها.

فبقي على هذا ثمانية أشهر فأنكرت ابنة عمه أحواله، فقالت لجارية لها: إذا خرج فانظري أين يمضي فتبعتْه الجارية، فجاء إلى الدكان فلما كان الظهر قام، وتبعته الجارية وهو لا يدري إلى أن دخل بيت تلك المرأة، فجاءت الجارية إلى الجيران فسألتهم: لمن هذه الدار؟ فقالوا: لصبية قد تزوجت برجل تاجر بزاز. فعادت إلى سيدتها فأخبِرتها، فقالت لها: إياك أن يعلم بهذا أحد، ولم تُظْهر لزوجها شيئًا.

فأقام الرجل تمام السنة ثم مرض ومات، وخلف ثمانية آلاف دينار، فعمدت المرأة التي هي ابنة عمه إلى ما يستحقه الولد من التركة وهو سبعة آلاف دينار فأفردتها، وقسمت الألف الباقية (الثُمُن) نصفين وتركت النصف في كيس، وقالت للجارية: خذي هذا الكيس واذهبي إلى بيت المرأة، وأعلميها أن الرجل مات، وقد خلف ثمانمائة آلاف دينار، وقد أخذ الابن سبعة آلاف بحقه، وبقيت ألف فقسمتها بيني وبينك وهذا حقك، وسَلِّميه إليها.

فمضت الجارية فطرقت عليها الباب ودخلت، وأخبرتها خبر الرجل وحدثتها بموته وأعلمتها الحال، فبكت وفتحت صندوقها وأخرجت منه رقعة وقالت للجارية: عودي إلى سيدتك وسلِّمي عليها عني وأعلميها أن الرجل طلقني وكتب لي براءة، وردي عليها هذا المال فإني ما أستحق في تركته شيئًا. فرجعت الجارية فأخبرتها بهذا الحديث. انتهى من صفة الصفوة (١/ ٥٨٠). إنها الديانة والخوف من الله تعالى.

هل يستفيد بذلك أهل هذا الزمان؟ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. والحمد لله العزيز الحميد.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢٢٥)

قصة حديث أم قرفة

إعداد **علي حشيش**

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، ومما ساعد على انتشارها وجودها في كتب السنة الأصلية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١- إن هذه القصة لا تليق بأخلاق المسلم العادي، فكيف بخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم صاحب أعظم خلق، المخاطب من الله بقوله تعالى: « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » (القلم:٤)، وكأن الخلق العظيم أصبح مطية ذلولاً اعتلاها النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- وإن تعجب فعجب أنك ترى في هذه القصة التي سنكشف عن عارها ونبين عوارها، ترى أنَّ زيد بن حارثة يقرع باب النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت عائشة رضي الله عنها فيقوم إليه النبي صلى الله عليه وسلم عريانًا، من أجل ذلك سنقوم بتخريج وتحقيق هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة الواهية، ونبين أنه حديث منكر في حق إمام الخلق النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٦١١٩) في كتاب «الأدب» باب «الحياء»، والإمام مسلم في «صحيحه» (ح٢٣٢٠) في كتاب «الفضائل» من حديث أبي سعيد الخدري قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها».

٣- إن وجود مثل هذه القصة في كتب السنة الأصلية تجعل الحاقدين ومن في قلوبهم مرض من المستشرقين والوجوديين وكل مَن قلَّدهم وسار في فلكهم ممن غرَّهم بريق الثقافة العربية يفتري على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم بمثل هذه القصص، بل أصبحت لهم برامج في بعض القنوات ومن جهلهم بذكرهم لكتب السنة التي توجد بها مثل هذه القصص يظنون أنهم على شيء؛ ذلك لعدم درايتهم بالصناعة

الحديثية لا يفرقون بين التخريج والتحقيق، فيتوهمون من مجرد العزو لإمام من أئمة الحديث الصحة ولا تلازم بينهما إلا إذا كان العزو للإمامين البخاري ومسلم في صحيحيهما أو أحدهما، أما العزو لغيرهما فلا بد من التحقيق لمعرفة المقبول من المردود، وهي ثمرة علم الحديث التطبيقي.

قال الإمام السيوطي في «ألفيته»:

علم الحديث ذو قوانين تحد
يُدرى بها أحوال متن وسند
فذانك الموضوع والمقصود
أن يُعرف المقبول والمردود

ثانيا: المتن:

رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فأتاه فقرع الباب، فقام إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عريانًا يجر ثوبه، والله ما رأيته عريانًا قبله ولا بعده فاعتنقه وقبَّله».

ثالثا: التخريج:

هذا الخبر الذي جاءت به القصة:

١-أخرجه الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى ٢٧٩هـ في كتابه «سنن الترمذي» (٧٢/٥) (ح٢٧٣٢) قال: «حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عباد المدني، حدثني أبي يحيى بن محمد، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن مسلم الزهري، عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته....» الحديث.

٢- وأخرجه أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر المتوفى (٥٧١هـ) في «تاريخ دمشق» (٣٦٥/١٩).

أخبرنا أبو عبد الله الخلال، أخبرنا إبراهيم بن منصور، أنبأنا أبو بكر بن المقرئ حدثنا أحمد بن محمد المصاحفي، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا إبراهيم بن هانئ، حدثنا أبي عن محمد بن إسحاق عن محمد بن مسلم به.

٣- وأخرجه الإمام أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني الخازن المشهور بابن المقري المتوفى (٣٨١هـ) في كتابه «الرخصة في تقبيل اليد» (ص٨٨) (ح٢٢) قال: حدثنا أحمد بن محمد المصاحفي، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن يحيى بن هانئ، حدثنا أبي عن محمد بن إسحاق عن محمد بن مسلم به.

٤- وأخرجه محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي المتوفى (٥٦١هـ) في كتابه «شرح السنة» (٢٩٠/١٢) (ح٣٣٢٧): أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليجي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن عبد الله بن الجراح المروزي، أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب التاجر، أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ (وهو الترمذي) به.

٥- وأخرجه الإمام الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي المتوفى (٣٢٢هـ) في كتابه «الضعفاء الكبير» (٢٠٥٦/٤٢٧/٤) بنفس سند الترمذي بزيادة في المتن واهية يجعلون منها سببًا لهذه القصة الواهية قال:

حدثنا محمد بن أيوب، حدثنا إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عباد بن هانئ الشجري، حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عروة عن عائشة، قالت: «بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأة من بني فزارة يقال لها: أم قرفة جهزت ثلاثين راكبًا من ولدها، وولد ولدها، فقالت: اقدموا المدينة فاقتلوا محمدًا، فقال النبي «اللهم أثكلها ولدها»، وبعث

إليهم زيد بن حارثة، فقتل بني فزارة، وقتل ولد أم قرفة، وبعث بدرعها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصبه بين رمحين، قالت عائشة: فأقبل زيد، حتى قدم المدينة، قالت عائشة: ورسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة في بيتي فقرع الباب فخرج إليه يجر ثوبه عريانًا، والذي بعثه بالحق ما رأيت عريته قبل ذلك ولا بعدها حتى اعتنقه وقبله».

٦- وأخرجه أبو عبد الله البغدادي الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبان الضبي المحاملي المتوفى (٣٣٠هـ) في كتابه «أمالي المحاملي» (ص١٨٣) (ح١٥٧) رواية ابن يحيى المتبع قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا عبد الله بن شبيب، حدثني إبراهيم بن يحيى، حدثني أبي عن محمد بن إسحاق الزهري به.

٧- وأخرجه الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفى (٤٣٠هـ) في كتابه «دلائل النبوة» (ص٥٣٤)، ط. دار النفائس بيروت، (ح٤٦٢) قال: حدثنا القاضي أبو محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن أيوب، قال: حدثنا إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عباد بن هانئ الشجري، حدثني أبي عن محمد بن إسحاق مولى ابن مخرمة، عن الزهري عن عروة عن عائشة: وذكر قصة أم قرفة السابقة.

رابعًا: التحقيق:

نستنتج من التخريج الذي ذكرناه آنفًا أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجوه من طريق إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عباد بن هانئ الشجري عن أبيه عن يحيى بن محمد، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة مرفوعًا، هذا سند تالف، وفيه علل:

العلة الأولى: يحيى بن محمد بن عباد:

١- ضعفه الإمام أبو حاتم الرازي، فقد قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٨٤/٢/٤): «سألت أبي عن يحيى بن محمد بن هانئ المدني الشعري، فقال: ضعيف الحديث». اهـ.

٢- وقال الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢٠٥٦/٤٢٧/٤): «يحيى بن محمد بن عباد بن هانئ الشجري عن محمد بن إسحاق في حديثه مناكير وأغاليط، وكان ضريرًا فيما بلغني أنه يُلَقَّن». اهـ.

٣- وقال الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٦١٨/٤٠٦/٤): «يحيى بن محمد بن عباد بن هانئ الشجري أبو إبراهيم عن ابن إسحاق، ثم نقل قول الإمام ابن أبي حاتم في يحيى وأقره، ونقل قول الحافظ العقيلي وأقره ثم نقل الحديث الذي جاءت به هذه القصة بسند العقيلي، ثم قال: «هذا حديث منكر، تفرد به إبراهيم عن أبيه».

العلة الأخرى: محمد بن إسحاق وقد عنعن ولم يصرِّح بالسماع:

١- فقد أورد الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» المرتبة الرابعة رقم (٩) قال: «محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني صاحب المغازي مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين، وعن شر منهم». اهـ.

٢- قال الإمام أحمد بن حنبل: قدم ابن إسحاق بغداد، فكان لا يبالي عمن يحكي عن الكلبي وغيره. كذا في «التهذيب» (٣٨/٩)، وفي «تاريخ بغداد» (٢٣٠/١).

خامسًا: الاستنتاج:

نستنتج من التحقيق وبيان علل الحديث الذي جاءت به القصة أن القصة واهية وسندها تالف بالسقط في الإسناد، والطعن في الرواة.

١- أما عن السقط في الإسناد فكما بينا آنفًا: أنه سقط خفي وهو التدليس؛ حيث إن ابن إسحاق مدلس وقد عنعن.

٢- أما عن الطعن في الرواة فقد بينا آنفًا أن منهم من ضعَّفه الأئمة وفي حديثه مناكير

وأغاليط، وكان ضريرًا يتلقن، ومنهم الكذاب الدجال المجلود في القدر.

سادسًا: تحسين الترمذي ورد الذهبي عليه:

١- قال الإمام الترمذي في «السنن» (٧٢/٥) في حديث القصة (ح٢٧٣٢): «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث الزهري إلا من هذا الوجه».

٢- فردَّ هذا التحسين الحافظ الذهبي في «الميزان» (٩٦١٨/٤٠٧/٤) وقال: «هذا حديث منكر تفرد به إبراهيم عن أبيه». اهـ.

٣- قلت: والحافظ الذهبي كما قال فيه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣): «هو من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال». اهـ.

ولقد حكم الحافظ الذهبي بأن «الحديث منكر» بعد استقراء تام للحديث ورجاله كما بينا آنفًا.

سابعًا: رد ابن عساكر على الترمذي دعوى التفرد:

١- قال الإمام الترمذي في «السنن» (٧٢/٥) في حديث القصة (ح٢٧٣٢): «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث الزهري إلا من هذا الوجه». اهـ.

قلت: لقد بينا آنفًا رد الأئمة على دعوى التحسين، وهنا يرد الحافظ ابن عساكر على الإمام الترمذي دعوى الفردية.

٢- قال الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٦٥/١٩): «روى الترمذي- حديث القصة- عن محمد بن إسماعيل عن إبراهيم بن محمد بن يحيى وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الزهري إلا من هذا الوجه».

ثم قال: «وقد روى من وجه آخر من حديث الزهري»؛ حيث أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أبو عمر بن حيويه، أخبرنا عبد الوهاب بن أبي حية، أخبرنا محمد بن شجاع الثلجي، حدثنا محمد بن عمر الواقدي، حدثنا محمد- يعني ابن أخي الزهري- عن الزهري، عن عروة عن عائشة.

ثامنًا: التحقيق لهذا الوجه الآخر:

هذا الوجه الآخر الذي أخرجه الحافظ ابن عساكر لا يزيد القصة إلا وهنًا على وهن، وعلته محمد بن عمر الواقدي.

١- قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٦٠٩٠/٩٧/١٧): «محمد بن عمر الواقدي روى عن محمد بن عبد الله بن مسلم ابن أخي الزهري وآخرين، وروى عنه محمد بن شجاع وآخرون، ثم نقل عن معاوية بن صالح: أن أحمد بن حنبل قال: «الواقدي كذاب»، وعن يحيى بن معين: قال: «ليس بثقة»، وعن الحاكم قال: «ذاهب الحديث».

٢- وقال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٩٠/٢): «محمد بن عمر بن واقد الواقدي كان ممن يحفظ أيام الناس وسيرهم، وكان يروي عن الثقات المقلوبات، وعن الأثبات المعضلات حتى ربما سبق إلى القلب أنه كان المعتمد لذلك كان أحمد بن حنبل يكذبه، ثم أخرج بسنده عن علي بن المديني شيخ البخاري قال: الواقدي يضع الحديث». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين أنه لا يُغتر بتعدد أوجه الحديث؛ قال الإمام ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص٢٣): «قال الشيخ أبو عمرو: لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا؛ لأن الضعف يتفاوت فمنه ما لا يزول بالمتابعات، يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

قلت: وما أوردناه هو تطبيق على هذه القاعدة العظيمة والنهوض بعلم الحديث التطبيقي الذي هو من أهداف هذه السلسلة.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

الحلقة (٥٤)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

اتفاق كلمة أهل السنة من أئمة الحديث والفقه على: إبطال تأويلات الأشاعرة لصفات (النزول والمجيء والإتيان) بحق الله تعالى

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فمن غير من ذكرنا من أئمة أهل السنة ممن أجمعوا على إثبات صفات: (النزول والمجيء والإتيان) لله تعالى، نذكر من أئمتهم أيضاً: مسلمَ بن الحجاج ت٢٦١، فإضافة لما رويناه عنه في أبواب عدة يُثبت فيها صفة النزول لله تعالى، ذكر -رحمهُ الله- في كتاب (الإيمان) أيضاً كثيراً من هذه الأحاديث، منها: حديث الإتيان يوم القيامة وما فيه من التجلي وكلام الرب لعباده ورؤيتهم إياه، وحديث الجارية، وحديث: (يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده)، وحديث: (حتى وضع الجبار فيها قدمه)، وحديث: (المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين)، وحديث: (ألا تأمنوني وأنا أمين مَن في السماء)، وغيرها مما احتج بها "وذكرها ولم يتأولها.. ولو لم يكن معتقداً لمضمونها لفعل بها ما فعل المتأولون حين ذكرها".. كذا نبه إليه صاحب (اجتماع الجيوش ص٩٥).

والإمامَ الترمذي (ت٢٧٩) في سننه ٣/ ٥٠.. قال -عقب ما أخرجه من حديث أبي هريرة (إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها.. الحديث)-: "قال غير واحد من أهل العلم - في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات، و(نزول الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا)- قالوا: تَثبتُ الروايات في هذا ويُؤمَن بها ولا يُتوهم، ولا يُقال: كيف؟؛ هكذا رُوي عن مالك وابن عيينة وابن المبارك، أنهم قالوا في هذه الأحاديث: (أمرُّوها بلا كيف)، وهذا قول أهل العلم من أهلَ السنة والجماعة؛ وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: (هذا تشبيه)، وفسروها على غير ما فسر أهل العلم.. قال إسحق بن راهويه: إنما يكون التشبيه إذا قال: (يد كيد أو مثل يدي) أو (سمع كسمع أو مثل سمعي)، فهذا التشبيه، وأما إذا قال كما قال الله: (يد وسمع وبصر)، ولا يقول: (كيف؟)، ولا يقول: (مثل سمع ولا كسمع)، فهذا لا يكون تشبيهًا عنده، وهوَ كما قال تعَالى في كتابه: (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ) (الشورى/ ١١)"ا.هـ بتصرف.. وكان رحمه الله قد علق على حديث (نزوله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا) بقوله:

"قد رُوي هذا الحديث من أوجه كثيرة"، وجعل يذكر الروايات المتعددة بألفاظها.

وأحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني قاضي أصبهان وصاحب التصانيف (ت٢٨٧)، قال: "جميع ما في كتابنا -كتاب السنة الكبير- من الأخبار التي ذكرنا أنها توجب العلم: نحن نؤمن بها لصحتها وعدالة ناقليها، ويجب التسليم لها على ظاهرها، وترك تكلف الكلام في كيفيتها"، وذكر من ذلك: النزول إلى السماء الدنيا والاستواء على العرش، كذا في العلو ص ١٤٦.

وكذا الحافظ أبو العباس السَّرَّاج (ت٣١٣)، وذلك قوله: "من لم يُقر ويؤمن بأن الله يعجب ويضحك، وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: (من يسألني فأعطيه؟) فهو زنديق.. يستتاب، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه، ولا يُصلى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين"، وعليه علق الذهبي في (العلو) بقوله: "قلت: إنما يكفر بعد علمه بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ذلك، ثم إنه جحد ذلك ولم يؤمن به".. والحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥)، فقد جمع في كتابه (النزول) ستة وتسعين حديثًا وأثرًا عن النبي وصحابته، كلها في إثبات نزوله تعالى وبطلان ما تأولته الأشاعرة.. والحافظ الحجة أبو نصر عبيد الله السجزي ت٤٤٤، قال في كتاب (الابانة) -وقد نقله عنه الذهبي في (العلو)-: "أئمتنا كسفيان الثوري، ومالك، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، والفضيل، وابن المبارك، وأحمد، وإسحاق: متفقون على أن الله بذاته فوق العرش، وعلمه بكل مكان، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا، وأنه يغضب ويرضى، ويتكلم بما شاء" إ.هـ.

وكان الإمام الحافظ أبو مسعود المعروف بـ (كوتاه) (ت٥٥٣)، يقول -كما في السِّير٢٠/ ٣٣٠-: "(النزول: بالذات)، فأنكر عليه هذا، شيخُه إسماعيل الحافظ، وأمره بالرجوع عنه، فما فعل"، قال الذهبي معلقًا: "ومسألة النزول: الإيمان به واجب، وترك الخوض في لوازمه أولى، وهو سبيل السلف، فما قال هذا -(نزوله بذاته)- إلا إرغامًا لمن تأوله وقال (نزوله إلى السماء بالعلم فقط).. نعوذ بالله من المراء في الدين".

وفي ردِّ بعض شبه من استنكر ذلك يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥) في كتابه: (فضل علم السلف على الخلف) ص٤٨: "اعترض بعض من كان يَعرف هذا على حديث النزول ثلث الليل الآخر، وقال: (ثلث الليل يختلف باختلاف البلدان، فلا يمكن أن يكون النزول في وقت معين)، ومعلوم بالضرورة من دين الإسلام قبح هذا الاعتراض، وأن الرسول أو خلفاءه الراشدين لو سمعوا من يعترض به لما ناظروه، بل ولبادروا إلى عقوبته وإلحاقه بزمرة المخالفين المنافقين المكذبين"، كذا بما يعني: وجوب التسليم والتصديق بكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم، وأنه سبحانه قادر على فعل ذلك على الوجه الذي يريده، وأن النزول الثابت لله في الثلث الأخير من الليل، هو: على حقيقته اللائقة بالله، وهو: ما كان من علو، ولذلك أورد المعترضون من أهل البدع على إثبات حقيقته: أنه يلزم منه أن يكون الله نازلاً على الدوام، لَمَا انقدح في أذهانهم من التشبيه، وهو غير لازم إذ (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) (الشورى/ ١١)، ولِمَا غاب عنهم من أنه سبحانه الفَعَّالُ لما يريد.

أ- أئمة الفقه إلى جانب أئمة الحديث.. على إثبات نزوله تعالى وإتيانه ومجيئه:

هذا، وقد جاء عن محمد بن نصر الفقيه ت٢٩٥ قوله -فيما ذكره الذهبي في السير ١٣/ ٥٤٧، والعلو ص١٥٦-: "النزول معقول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

كما جاء عن عبد الله بن أبي زيد القيرواني المعروف بـ(مالك الصغير) ت٣٨٦ -في رسالته المشهورة (باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات)، وتحت عنوان: (فصل فيما اجتمعت عليه الأمة من أمور الديانة من السنن التي خلافها بدعة وضلالة)- قوله: "وأنه يجئ يوم القيامة -بعد أن لم يكن جائيًا- والملك صفًا صفًا، لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، وأنه يرضى ويحب التوابين، ويسخط على من كفر به، ويغضب فلا يقوم شيء لغضبه، وأنه

فوق سماواته على عرشه دون أرضه، وأنه في كل مكان بعلمه، وإن له كرسيًا كما قال: (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ) (البقرة/ ٢٥٥)، وكما جاءت به الأحاديث: من (أن الله يضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء)".. إلى أن قال: "وكل ما قدمنا ذكره، هو: قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث على ما بيناه، وكله قول مالك؛ فمنه منصوص من قوله، ومنه معلوم من مذهبه" إ.هـ.

ومما كتبه القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي ت٤٢٢ -في شرح قول ابن أبي زيد القيرواني (وأن الله يجيء يوم القيامة والملك صفًا صفًا)-: "وهذا، لقوله تعالى: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (الفجر/ ٢٢)، فأثبت نفسه جائيًا، ولا معنى لقول من يقول: (إن المراد به: وجاء أمر ربك)، لأن ذلك إضمار في الخطاب يزيله عن مفهومه، ويحيله عن ظاهره، لا حاجة بنا إليه، وليس المجيء الذي أضافه إلى نفسه على سبيل ما يكون منّا من الانتقال والتحرك والزوال وتفريغ الأماكن وشغلها؛ لأن ذلك من صفات الأجسام، والباري سبحانه لا يجوز عليه ذلك، ولكن ليس إذا استحال عليه ذلك وجب صرف الكلام عن حقيقته" ا.هـ.

وفي شرح ما اختُص بمجيئه تعالى يقول د. العباد في كتاب (قطف الجنى الداني) ص١٢٩: "مجيء الله يوم القيامة لفصل القضاء: من صفات أفعاله، يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد، والقول في المجيء كالقول في سائر الصفات، من أنه على ما يليق بالله، من غير تكييف أو تمثيل، ومن غير تأويل أو تعطيل"، ثم ساق قول ابن كثير في تفسير آية: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (الفجر/ ٢٢): "يعني لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعدما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم، بعدما يَسألون أولي العزم من الرسل واحدًا بعد واحد، فكلهم يقول: (لست بصاحب ذاكم)، حتى تنتهي النوبة إليه صلى الله عليه وسلم فيقول: (أنا لها، أنا لها)، فيذهب فيَشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء، فيُشفعه الله في ذلك، وهي أول الشفاعات، وهي المقام المحمود، فيجيء الرب لفصل القضاء كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفًا صفوفًا". اهـ.

ولفقيه المالكية في عصره الإمام ابن زَمَنِين ت٣٩٩ قوله في (أصول السنة) ص٢٢: "ومن قول أهل السنة: أن الله ينزل إلى السماء الدنيا، ويؤمنون بذلك من غير أن يَحُدّوا فيه حدًّا"، ثم ساق الأحاديث في ذلك، وذكر قول زهير بن عَبّاد: "كلُّ من أدركتُ من المشايخ: مالك، وسفيان، وفضيل، وابن المبارك، ووكيع كانوا يقولون: (النزول حق)، قال ابن وضاح: وسألت يوسف بن عدي عن النزول؟، فقال: (نعم، أقرُّ به ولا أحدُّ حدًا)، وسألت عنه ابن معين فقال: (نعم، أقر به ولا أحدّ فيه حدًا)"، ثم قال: "وهذا الحديث بيَّنَ أن الله على عرشه في السماء دون الأرض، وهو أيضًا بيِّنٌ في كتاب الله وفي غير ما حديث" إ.هـ..

وللقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء شيخ الحنابلة ت٤٥٨ قوله في (إبطال التأويلات) ص١٥٠: "قال أحمد في رسالته إلى مُسَدَّد: إن الله ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا ولا يخلو منه العرش، فقد صرح أحمد بالقول بأن العرش لا يخلو منه، وهكذا القول عندنا في قوله: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (الفجر/ ٢٢).. وقوله: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ) (البقرة/ ٢١٠) المراد به: مجيء ذاته لا على وجه الانتقال"، إلى آخر ما سبق أن نقلناه عنه تعليقًا على قول الإمام أحمد.

ب- ابن سريج فقيه العراق يُثبت ضمن صفات الله الفعلية، صفات: النزول والدنو والتجلي:

وعن ترجمة ما دأب عليه السابقون الأولون من وجوب الإيمان بما سبق وغيره من سائر صفاته تعالى الخبرية والفعلية، وحملها على ظاهرها دون تأويل ولا تفويض لمعناها، ولا تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل، ولا تمثيل ولا نفي ولا تجسيم، ولا تصوير ولا تخييل، يقول ابن سريج فقيه العراق ت٣٠٦ -وقد نقله عنه ابن قدامة في (ذم التأويل) والذهبي في (العلو) -: "حرام على العقول أن تمثل الله، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الألباب أن تصفه إلا بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله، وقد صح وتقرر واتضح عند

جميع أهل الديانة والسنة والجماعة من السلف الماضين، والصحابة والتابعين من الأئمة المهتدين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا، أن جميع الآي الواردة في ذاته وصفاته، والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله وفي صفاته التي صححها أهل النقل وقبلها النقاد الأثبات، يجب على المرء المسلم المؤمن الموفق: الإيمان بكل واحد منه كما ورد، وتسليم أمره إلى الله كما أمر، وذلك مثل قوله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ) (البقرة/ ٢١٠)، وقوله: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (الفجر/ ٢٢)، وقوله: (وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ) (الزمر/ ٦٧)، ونظائرها مما نطق به القرآن: كالفوقية والنفس واليدين، والسمع والبصر والكلام، والعين والنظر والإرادة، والرضا والغضب والمحبة والكراهة، والعناية والقرب والبعد والسخط والاستحياء، والدنو كقاب قوسين أو أدنى وصعود الكلام الطيب إليه، وعروج الملائكة والروح إليه ونزول القرآن منه، وندائه الأنبياء عليهم السلام، وقوله للملائكة، وقبضه وبسطه.. ونوره وتجليه، والوجه وخلق آدم عليه السلام بيده، ونحو سماعه من غيره وسماع غيره منه، وغير ذلك من صفاته المتعلقة به المذكورة في الكتاب المنزل على نبيه.

وجميع ما لفظ به المصطفى من صفاته: كغرسه جنة الفردوس بيده وشجرة طوبى بيده وخط التوراة بيده، والضحك والتعجب، ووضعه قدمه على النار فتقول قط قط، وذكر الأصابع، والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا وليلة الجمعة وليلة القدر.. وكغيرته وفرحه بتوبة العبد واحتجابه بالنور وبرداء الكبرياء، وأنه ليس بأعور وأنه يُعرض عما يكره ولا ينظر إليه، وأن كلتا يديه يمين، واختيار آدم قبضته اليمنى، وأنه يوم القيامة يحثو ثلاث حثوات من جهنم فيدخلهم الجنة، و(لمّا خلق آدم مسح ظهره بيمينه فقبض قبضة فقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي أصحاب اليمين، وقبض قبضة أخرى وقال: هذه للنار ولا أبالي أصحاب الشمال، ثم ردّهم في صلب آدم)، وحديث القبضة التي (يُخرج بها من النار قومًا لم يعملوا خيرًا قط، عادوا حممًا فيُلقَون في نهر من الجنة يقال له نهر الحياة)، وحديث: (لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن).

وإثبات الكلام بالحرف والصوت وباللغات وبالكلمات وبالسور، وكلامه تعالى لجبريل والملائكة وللرحم ولملك الموت ولرضوان ولمالك، ولآدم ولموسى ولمحمد عليهم السلام، وللشهداء وللمؤمنين عند الحساب وفي الجنة، ونزول القرآن إلى سماء الدنيا، وكون القرآن في المصاحف، و(ما أذن الله لشيء كإِذْنه لنبي يتغنّى بالقرآن)، وقوله: (الله أشد أذُنًا لقارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته)، وأن (الله يحب العطاس ويكره التثاؤب)، وفرغ الله من الرزق والأجل، وحديث ذبح الموت ومباهاة الله، وصعود الأقوال والأعمال والأرواح إليه، وحديث معراج الرسول ببدنه، وبيان نفسه ونظره إلى الجنة والنار، وبلوغه العرش إلى أن لم يكن بينه وبين الله إلا حجاب العزة، وعرض الأنبياء عليه، وعرض أعمال الأمة عليه، وغير هذا مما صح عنه صلى الله عليه وسلم من الأخبار المتشابهة الواردة في صفات الله، ما بلغنا وما لم يبلغنا مما صح عنه.

اعتقادنا فيه وفي الآي المتشابهة -يعني من ناحية الكيف- في القرآن: أن نقبلها ولا نَرُدّها ولا نتأولها بتأويل المخالفين، ولا نحملها على تشبيه المشبهين، ولا نزيد عليها ولا نُنقص منها، ولا نفسرها -يعني تفسيرًا يخرجها عن ظاهر معناها كما كان يفعل أتباع جهم- ولا نكيفها، ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية، ولا نشير إليها بخواطر القلوب ولا بحركات الجوارح، بل نطلق ما أطلقه الله ونفسر ما فسره النبي وأصحابه والتابعون والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والأمانة، ونُجمع على ما أجمعوا عليه ونُمسك عما أمسكوا عنه، ونُسلّم للخبر الظاهر والآية الظاهر تنزيلها، لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية والملحدة والمجسمة والمشبهة والكرّامية والمكيفة، بل نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل، ونقول: الإيمان بها واجب، والقول بها سنة، وابتغاء تأويلها بدعة"..

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث..

والحمد لله رب العالمين.

المسلمون وتحديات العصر

إعداد **معاوية محمد هيكل**

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ونبي الأمة صلى الله عليه وسلم.

فعَن ثَوبَان رَضِيَ الله عَنهُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُوشكُ الأمَمُ أنْ تَدَاعَى عَلَيكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأكَلَةُ إلَى قَصْعَتِهَا». فقال قائل: ومن قلَّة نحن يومئذ؟! قال: «بَلْ أنتُمْ يَومَئذ كَثِيرٌ، وَلَكنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهِ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ المَهَابَةَ منكُمْ، وَلَيَقذِفَنَّ الله فِي قُلُوبِكُمُ الوَهَنَ». فقال قائل: يا رسول الله! وما الوَهَن؟ قال: «حُبُّ الدُّنيَا وكَرَاهِيَةُ المَوتِ». (صحيح أبي داود ٤٢٩٧).

هذا الحديث يعد من معجزاته صلى الله عليه وسلم وأعلام نبوته؛ إذ يخبر فيه النبي صلى الله عليه وسلم بما سيقع للأمة من بعده من فتن وأزمات، وبما تواجهه من أخطار وتحديات، وبما تعانيه من أدواء وأسقام، وذلك حتى تتمكن من الأخذ بأسباب العلاج والنجاة، لتسترد الأمة عافيتها، وتستعيد مجدها وتستأنف دورها في قيادة البشرية من جديد.

معاني مفردات الحديث:

(يوشك الأمم). أي يَقْرُب فِرَق الكفر وأمم الضَّلالة.

(أن تداعى عليكم). أي: تتداعى، بأن يدعو بعضهم بعضًا لمقاتلتكم، وكسر شوكتكم، وسلب ما ملكتموه من الدِّيار والأموال.

(كما تداعى الأكلة). أي: كما أنَّ الفئة الآكلة يتداعى بعضهم بعضًا إلى قصعتهم التي يتناولونها من غير مانع، فيأكلونها صفوًا من غير تعب.

(ومن قلَّة). أي: أنَّ ذلك التَّداعي لأجل قلَّة نحن عليها يومئذ.

(كثير). أي: عددًا، وقليل مددًا.

(ولكنَّكم غُثَاء كغُثَاء السَّيل). ما يحملُه السَّيل من رغوة ومن فُتات الأشياء التي على وجه الأرض؛ شبَّههم به لقلَّة شجاعتهم ودناءة قدرهم.

(ولينزعنَّ). أي: ليخرجنَّ.

(المهابة). أي: الخوف والرُّعب.

(وليقذفنَّ). أي: وليرمينَّ الله.

(الوَهن). أي: الضَّعف، وكأنَّه أراد بالوَهن ما يوجبه، ولذلك فسَّره بحبِّ الدُّنيا وكراهة الموت.

(وما الوَهن؟) أي: ما يوجبه وما سببه؟ قال الطِّيبيُّ رحمه الله: سؤالٌ عن نوع الوَهن، أو كأنَّه

أراد من أي وجه يكون ذلك الوَهن.

(قَال: حبُّ الدُّنيا وكراهية الموت). وهما متلازمان، فكأنَّهما شيء واحد، يدعوهم إلى إعطاء الدَّنيَّة في الدِّين من العدو المبين، ونسأل الله العافية. (انظر: عون المعبود ١١/ ٢٣٧)

الفوائد المستفادة من الحديث:

أولا: من أعلام النبوة في الحديث إخبار النبِي صلى الله عليه وسلم عن الأمور الغيبية بِإطلاعِ الله تعالى له:

فقد ميز الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم واختصه على سائر البشر بالوحي، وأمره أن يبين هذه الحقيقة للناس، فقال: « قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ » الكهف (١١٠)، وعلى هذا كان لكلامه صلى الله عليه وسلم صفة العصمة من الخطأ؛ لأنه كما وصفه ربه عز وجل: «وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى» (النجم:٣-٤)، وليس هذا الوحي محصورًا بالأحكام الشرعية فقط، بل يشمل نواحي أخرى من الشريعة؛ منها: الأمور الغيبية، فهو صلى الله عليه وسلم وإن كان لا يعلم الغيب كما قال عنه ربه: « وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » (الأعراف:١٨٨)، فإن الله تعالى يُطلعه على بعض المغيبات، وهذا صريح في قول الله تعالى: « عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ » (الجن:٢٦-٢٧)، وقال: « وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ » (البقرة من الآية:٢٥٥).

فالذي يجب اعتقاده أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب بنفسه، ولكن الله تعالى يُعلمه ببعض الأمور المغيبة، ثم هو صلى الله عليه وسلم يُطلعنا على ذلك بطريق الكتاب والسنة، وما نعلمه من تفصيلات أمور الآخرة من الحشر والجنة والنار ومن عالم الملائكة والجن ونحو ذلك، وما كان وما سيكون؛ ليس هو إلا من الأمور الغيبية التي أطلع الله تعالى نبيه عليها ثم بلَّغنا إياها، فلا يصح بعد هذا أن يرتاب مسلم في حديثه لأنه يخبر عن الغيب! ولو جاز هذا للزم منه رد أحاديث كثيرة جدًا قد تبلغ مائة حديثٍ أو يزيد، هي كلها من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم، وصدق رسالته، وقد استقصى هذه الأحاديث المشار إليها الحافظ ابن كثير في تاريخه، وعقد لها بابًا خاصًا فقال: (باب ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من الكائنات المستقبلة في حياته وبعده، فوقعت طبق ما أخبر به سواءً بسواء)، ثم ذكرها في فصول كثيرة؛ فليراجعها من شاء في "البداية والنهاية" (٦/ ١٨٢-٢٥٦)، يجد في ذلك هدى ونورًا بإذن الله.

ثانيًا: تداعي أمم الكفر على المسلمين واحتلال ديارهم ونهب ثرواتهم وانتهاك مقدساتهم.

في الحديث إشارة إلى أن أمم الكفر الذين تكالبوا على أمة الإسلام من كل أقطار الدنيا قد ملأ صُدُورَهم حقدٌ دفين وبُغضٌ شديد للإسلام والمسلمين، ولهذا شبَّههم النبي صلى الله عليه وسلم في شراستهم بالأكلة الجياع التي انطوت نفوسهم على شراهة واندفاع شديد يُغذِّيه جوع دفين، اجتمعوا على قصعة ينهشون لحمها من كل جانب.

وإنَّ تاريخ هؤلاء الكفرة الفجرة ليشهد بما اقترفوه وما فعلوه بالمسلمين عبر العصور من الجرائم الوحشية، والإبادات الجماعية، فقد احتلوا ديار المسلمين، وعاثوا فيها فسادًا، فكسروا شوكتهم، واستباحوا بيضتهم، ونهبوا ثرواتهم، ووقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، من تداعي أمم الكفر على المسلمين، ووقعت أكثر البلاد الإسلامية تحت نير الاحتلال على اختلاف أشكاله، وذاق المسلمون منهم صنوف القهر والتنكيل، وإذا أردت تفصيلاً عن مآسي المسلمين فالتاريخ الأسود ينبيك بما جرى في الحروب الصليبية، واجتياح التتر للبلاد الإسلامية، وتعذيب أهلها وتشريدهم وقتلهم، وكذلك ما حدث من تحالف قوى الكفر والشر من كل اتجاه للقضاء على الخلافة الإسلامية "حافظة الدين وعنوان عز المسلمين" فأسقطوها وأجهزوا عليها، مما أدَّى الى أفول شمسها، وقسَّموا العالم الإسلامي إلى دويلات، وقدموا فلسطين- بعدما مزَّقوا شامة الإسلام- إلى "اليهود " كأشهى وليمة في عصر الوهن، فاحتلوا أرضها، ودنَّسُوا مقدساتها، وساموا أهلها

سوء العذاب.

ثالثًا: خوف الغرب الكافر من انتشار الإسلام وعداؤهم الأبدي السافر له على مر العصور

فمنذ الوهلة الأولى لظهور الإسلام الوليد في المدينة قال "أبو ياسر بن أخطب" لأخيه "حُيي بن أخطب": أهُوَ هُوَ؟ (أي: هل محمد صلى الله عليه وسلم هو النبي الذي نَنتظرُهُ، الموجودة بشارته في كتبنا؟)، قال "حيي بن أخطب": نعم والله.

قال "أبو ياسر": أتعرفه وتُثبتُه؟

قال "حيي بن أخطب": نعم.

قال "أبو ياسر": فما في نفسك منه؟

يعني ما موقفك منه؟

قال حيي بن أخطب: "عداوته والله ما بقيت" سيرة ابن هشام (١: ٥١٧)

والمتتبع لتاريخ "الصراع" بين الغرب وشعوب الإسلام يلاحظ حقداً يصاحبه خوف رهيب من الإسلام وظهوره، وهذا الحقد وذلك الخوف يتضح جليًا في أقوالهم ويظهر موقفًا لا يتغير تجاه الإسلام، إنه محاولة تدمير الإسلام وإنهاء وجود شعوبه دون رحمة.

فهذا " ألان مورهيد "يقول: "إن احتلال الإنكليز لمصر سنة ١٨٨١ كانت لمواجهة مؤامرة إسلامية خطيرة وتيار محمدي متعصب" (محاضرات الجامعة الإسلامية ١٣٣٥/ص ٣١)).

وهذا الجنرال الفرنسي " غورو " عندما تغلب على جيش " ميسلون " خارج دمشق توجه فوراً إلى قبر صلاح الدين الأيوبي عند الجامع الأموي وركله بقدمه قائلاً: (ها قد عدنا يا صلاح الدين) (" قادة الغرب يقولون" ص (٨٤))

وفي ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر قال الحاكم الفرنسي في الجزائر: "إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم".

وعندما دخلت قوات إسرائيل القدس عام ١٩٦٧م تجمهر الجنود حول حائط المبكى وأخذوا يهتفون مع " موشي ديان": «هذا يوم بيوم خيبر... يا لثارات خيبر» (" قادة الغرب يقولون" ص (٢٨، ٣٣، ٣٤)).

وهذا " جلاد ستون " رئيس وزراء إنكلترا يقول: (ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان) (الإسلام على مفترق الطرق (ص ٣٩)).

وهو القائل أيضًا: (لن تستقيم حالة الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطى به القرآن) (المرأة ومكانتها للحصين (ص١٢)).

وهذا " كرومر " يقول: «جئت لأمحو ثلاثًا: القرآن، والكعبة، والأزهر». (الخنجر المسموم، لأنور الجندي: ص٢٩)

وأثناء الحرب الدموية على "البوسنة" وما قام به "الصرب" من إبادات جماعية نشرت "جريدة ليليان" البوسنوية في السابع من يونية لعام ١٩٩٣م صورة من خطاب "جون ميجر" رئيس وزراء بريطانيا إلى "دوجلاس هوج" رئيس مكتب الأجانب والكومنولث يوضح في خطابه السبب الحقيقي لامتناع الغرب عن مساعدة "البوسنة" بل التضييق عليها وتركها لوحوش "الصرب" وكان السبب بكل صراحة أنهم من المسلمين).

ونشرت مجلة "ديرشبيجل" الألمانية الواسعة الانتشار بحثاً عن "خطر الإسلام" على الحضارة الغربية في عددها الثامن لعام ١٩٩١م تقول فيه: (إن الغرب انتقم لهزيمته أمام "صلاح الدين" في القدس زمن الحروب الصليبية مرتين:

الأولى: عندما دعم الغرب مصطفى كمال أتاتورك للقضاء على "الخلافة الإسلامية" في إسطنبول.

والثانية: دعم الغرب "اليهود" لتأسيس دولة لهم في فلسطين).

وصدق الله العظيم القائل في كتابه: (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) فإلى الله المشتكى.

رابعًا: عودة الأمة إلى الله والأخذ بأسباب النجاة سبيل الخلاص من الغثائية والوهن:

ففي الحديث تحذير للأمة من الأسباب التي أدت إلى تكالب الأمم وهجومهم على أمة الإسلام، ألا وهو: "حب الدنيا وكراهية الموت"، فإن هذا

الحب والكراهية هو الذي يستلزم الرضا بالذل، والاستكانة إليه، والرغبة عن الجهاد في سبيل الله على اختلاف أنواعه؛ من الجهاد بالنفس والمال واللسان وغير ذلك، وهذا هو حال غالب المسلمين اليوم.

والحديث يشير إلى أن الخلاص مما نحن فيه يكون بنبذ أسباب الوهن، والأخذ بأسباب النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، حتى يعود المسلمون اليوم كما كان أسلافهم: "يحبون الموت كما يحب أعداؤهم الحياة".

قال الألباني-رحمه الله-: وما أشار إليه هذا الحديث قد صُرِّح به في حديث آخر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا تبايعتُم بالعينة وأخذتم أذنابَ البقر، ورضيتُم بالزَّرع وتركتمُ الجهادَ سلَّطَ اللهُ عليْكم ذلاًّ لاَ ينزعُهُ حتَّى ترجعوا إلى دينِكم) (صحيح أبي داود ٣٤٦٢).

فتأمل كيف اتفق صريح قوله في هذا الحديث: «لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» مع ما أشار إليه الحديث الأول من هذا المعنى، الذي دل عليه كتاب الله تعالى أيضًا، وهو قوله: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ» (الرعد من الآية:١١). فثبت أن هدف الحديث إنما هو تحذير المسلمين من الاستمرار في "حب الدنيا وكراهية الموت"، ويا له من هدف عظيم لو أن المسلمين تنبهوا له، وعملوا بمقتضاه؛ لصاروا سادة الدنيا، ولما رفرفت على أرضهم راية الكفار، ولا بد لهذا الليل أن ينجلي، ليتحقق ما أخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة، من أن الإسلام سيعم جميع أنحاء الأرض، وسيصل مشارق الأرض ومغاربها؛ فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله زَوى لي الأرضَ. أو قالَ: إن ربِّي زوى لي الأرضَ، فرأيْتُ مشارقَها ومغاربَها، وإن مُلكَ أمتي سيبلغُ ما زُوِيَ لي منها) (صحيح أبي داود (٤٢٥٢)).

وعن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليبلغنَّ هذا الأمرُ ما بلغَ الَّليلُ والنَّهارُ، ولا يتركُ اللهُ بيتَ مدَرٍ ولا وبَرٍ إلَّا أدخلَهُ اللهُ هذا الدِّينَ، بعزِّ عزيزٍ، أو بذلِّ ذَليلٍ، عزًّا يعزُّ اللهُ به الإسلامَ، وذلًّا يُذلُّ اللهُ به الكفرَ" (أخرجه أحمد ١٦٩٩٨، والسلسلة الصحيحة ١/ ٣٢ (مجلة التمدن الإسلامي ٤٢١/٢٤).

وقوله "بعز عزيز"، أي: إن من أسلم يعزه الله، ويعز به الإسلام، ومن امتنع "أذله الله" تعالى بالصغار والجزية، ولذلك كان تميم الداري راوي الحديث يقول كما في مسند الإمام أحمد: (قد عرَفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب مَن أسلَم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب مَن كان منهم كافرًا الذلَّ والصَّغارُ والجزية).

وقال الألباني أيضًا في كتابه (تحذير الساجد): "أن الظهور المذكور لم يتحقق بتمامه وإنما يتحقق في المستقبل، ومما لا شك فيه أن دائرة الظهور اتسعت بعد وفاته صلى الله عليه وسلم في زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم ولا يكون التمام إلا بسيطرة الإسلام على جميع أنحاء الأرض، وسيتحقق هذا قطعًا لإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك. انتهى.

ومصداق هذا الحديث من كتاب الله تعالى قوله عزوجل: «يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ» (التوبة:٣٢-٣٣).

وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بالنصر والتمكين والرفعة فقال: (بشِّرْ هذه الأمَّةَ بالتيسير، والسناء والرِّفعة بالدِّين، والتَّمكين في البلاد، والنصر....) (صحيح الترغيب ١٣٣٢)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقومُ الساعةُ حتى يقاتلَ المسلمون اليهودَ فيقتلُهم المسلمونَ حتى يختبئَ اليهودُ من وراءِ الحجرِ والشجرِ فيقولُ الحجرُ أو الشجرُ يا مسلمُ! يا عبدَ اللهِ! هذا يهوديٌّ خلفي فتعالَ فاقتلْه....) (صحيح مسلم (٢٩٢٢))؛ وسيتحقق بإذن الله تعالى الوعد الرباني بانتصار الإسلام والمسلمين «وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ» (الحج: ٤٠).

نسأل الله العلي القدير أن ينصر الإسلام والمسلمين، وأن يمكن لدينه في الأرض ويفتح له قلوب الناس. والله المستعان.

دراسات قرآنية

الأمثال في القرآن

الحلقة الثانية

مثل الرجلين: المؤمن والكافر صاحب الجنتين

إعداد **مصطفى البصراتي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فما زلنا في هذا المثل «مثل الرجلين: المؤمن والكافر صاحب الجنتين»، ونستكمل ما بدأناه في الحلقة السابقة، فنقول في هذا المثال-وبالله تعالى التوفيق-:

قال الله تعالى: « أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا » (الكهف:٤١) أي: ذاهبًا في الأرض لا تناله الأيدي ولا الدِّلاء ولا سبيل إليه، والغور الغائر، والمعنى: أنها تصير عادمة للماء بعد أن كانت واجدة له، وكان خلالها ذلك النهر يسقيها دائمًا.

«فلن تستطيع له طلبًا» أي: لن تستطيع طلب الماء الغائر، فضلاً عن وجوده ورده ولا تقدر عليه بحيلة من الحيل تدركه بها، وقيل: المعنى فلن تستطيع طلب غيره عوضًا عنه. «وأحيط بثمره» أي: أمواله كالنقد والمواشي، وهذا راجع لقوله: «وكان له ثمر» وهي عبارة عن إهلاكه وإفنائه.

«فأصبح» أي: صار صاحبها الكافر «يقلب كفيه» أي يضرب إحدى يديه على الأخرى ويصفق بكفٍ، على كفٍ وهو كناية عن الندم والتحسر كأنه قيل: فأصبح يتندم «على ما أنفق فيها» أي: في عمارتها وإصلاحها من الأموال، «وهي خاوية على عروشها» أي: خالية قد سقط بعضها على بعض. والخاوية الخالية، أي: وهي خالية من الشجر والزرع، والعروش: السُقُف. (انظر: تفسير القرطبي، والتحرير والتنوير).

«ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدًا» فأخبر الله تعالى أنه لما سلبه ما أنعم به عليه وحقق ما أنذره به أخوه في الدنيا ندم على شركه حين لا تنفعه الندامة. (تفسير زاد المسير).

«ولم تكن له فئة» أي: جماعة، «ينصرونه من دون الله» يمنعونه من عذاب الله، «وما كان منتصرًا» ممتنعًا منتقمًا لا يقدر على الانتصار لنفسه، وقيل: لا يقدر على رد ما ذهب عنه. (تفسير البغوي).

«هنالك الولاية لله الحق»، والمعنى: (هنالك) أي: في ذلك المقام، وتلك الحال التي وقع فيها الإهلاك؛

النصرة لله وحده لا يملكها غيره، ولا يستطيعها أحد سواه، و«الولاية» بفتح الواو- مصدر ولي، إذا ثبت له الولاء، وبكسر الواو، وهي اسم للمصدر أو اسم بمعنى السلطان والملك، والأخيرة (بكسر الواو) قراءة حمزة، والكسائي، وخلف.

و(الحق) قرأه الجمهور بالجر، على أنه وصف لله تعالى، كما وصف بذلك في قوله تعالى: «وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ» (يونس:٣٠)، وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: «الحق» بالرفع، صفة للولاية فـ«الحق» بمعنى: الصدق؛ لأن ولاية غيره كذب وباطل، «هو خير ثوابًا» أي: الله خير ثوابًا في الدنيا والآخرة لمن آمن به. «وخير عقبًا» عاقبة الأمر: آخره وما يصير إليه منها، والمعنى: عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره، فهو خير إثابة. (التفسير الوسيط- وتفسير البغوي بتصرف).

المعنى الإجمالي للآيات:

«وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا» إلى قوله: «هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا» (الكهف:٣٢- ٤٤).

قال صاحب تفسير اللباب: لما افتخر الكفار بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين بيَّن الله تعالى أن ذلك مما لا يوجب الافتخار؛ لاحتمال أن يصير الغني فقيرًا والفقير غنيًّا، وأما الذي تجب المفاخرة به فطاعة الله وعبادته وهي حاصلة لفقراء المسلمين، وبين ذلك بضرب هذا المثل، «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ». قال القرطبي: قوله تعالى: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ»، هذا مثل لمن يتعزز بالدنيا ولا يستنكف عن مجالسة المؤمنين وهو متصل بقوله: «وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ» (الكهف:٢٨)، وقال صاحب التفسير الوسيط دكتور سيد طنطاوي: «واضرب-أيها الرسول الكريم- مثلاً للمؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، وللكافرين الذين غرتهم الحياة الدنيا، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة.

وقال الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير: في قوله: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ»، عطف على جملة: «وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ» (الكهف:٢٩) الآيات، فإنه بعد أن بيَّن لهم ما أعد لأهل الشرك، وذكر ما يقابله مما أعده للذين آمنوا، ضرب مثلاً لحال الفريقين بمثل قصة أظهر الله فيها تأييده للمؤمن وإهانته للكافر، فكان لذلك المثل شبه بمثل قصة أصحاب الكهف من عصر أقرب لعل المخاطبين من عصر أهل الكهف، فضرب مثلاً للفريقين؛ للمشركين وللمؤمنين بمثل رجلين كان حال أحدهما معجبًا مؤنقًا، وحال الآخر بخلاف ذلك، فكانت عاقبة صاحب الحال المؤنقة تَبَابًا وخسارة، وكانت عاقبة الآخر نجاحًا، ليظهر للفريقين ما يجره الغرور والإعجاب والجبروت إلى صاحبه من الازدراء، وما يلقاه المؤمن المتواضع العارف بسنن الله في العالم من التذكير والتدبر في العواقب فيكون معرض للصلاح والنجاح. اهـ.

وقد اختُلفَ في الرجلين؛ هل هما مقدران أو محققان؟

فقال بالأول بعض المفسرين، وقال بالآخر بعض آخر، فإن كان حال هذين الرجلين الممثل به حالاً معروفًا (أي محققًا)، فالكلام تمثيل حال محسوس بحال محسوس، واختلفوا في تعيينهما. فقيل: هما أخوان من بني إسرائيل أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس، وقيل: تلمليخا والآخر كافر واسمه قيطوس، وهما اللذان وصفهما الله في سورة الصافات بقوله: «قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ» (الصافات:٥١). قيل: هما أخوان مخزوميان من أهل مكة أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد يا ليل، والآخر كافر وهو الأسود بن عبد الأسد، وقيل: هذا مثل لعيينة بن حصن وأصحابه مع سلمان وأصحابه. (فتح

البيان بتصرف).

وإن كان حال الرجلين حالاً مفروضًا، كما جوَّزه بعض المفسرين فيما نقله عنه ابن عطية؛ فالكلام على كل حال تمثيل محسوس؛ لأن تلك الحالة متصورة متخيلة. قال ابن عطية: فهذه الهيئة التي ذكرها الله تعالى لا يكاد المرء يتخيل أجمل منها في مكاسب الناس، وعلى هذا الوجه يكون هذا التمثيل كالذي في قوله تعالى: «وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ» (البقرة:٢٦٥).

قال الطاهر بن عاشور في «التحرير والتنوير»: «والأظهر-من سياق الكلام وصنع التراكيب مثل قوله: «قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ» إلخ، فقد جاء (قال) غير مقترن بفاء وذلك من شأن حكاية المحاورات الواقعة ومثل قوله: «وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا»- أن يكون هذا المثل قصة معلومة؛ ولأن ذلك أوقع في العبرة والموعظة مثل المواعظ بمصير الأمم الخالية، وممن ذهب إلى هذا الرأي العلامة الألوسي في تفسيره، فقال: والمراد بالرجلين: إما رجلان مقدران على ما قيل، وضرب المثل لا يقتضي وجودهما، وإما رجلان موجودان وهو المعول عليه. اهـ.

وقيل: هو مثل لجميع من آمن بالله وجميع من كفر. (انظر: تفسير القرطبي وفتح القدير للشوكاني بتصرف).

قوله تعالى: «واضرب لهم» الضمير في «لهم» عائد على الطائفة المتحيرة التي أرادت من النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرد فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، وعلى أولئك الداعين أيضًا، فالمثل مضروب للطائفتين، إذ الرجل الكافر صاحب الجنتين هو بإزاء متجبري قريش، أو بني تميم، والرجل المؤمن المقر بالربوبية هو بإزاء بلال وعمار وصهيب وأقرانهم.

«جعلنا لأحدهما» أي: الكافر «جنتين من أعناب»، أي: بستانين من كروم العنب، «وحففناهما» أحطناهما، يقال: حفه بكذا، إذا جعله حافًا به، أي: محيطًا، قال تعالى: «وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ» (الزمر:٧٥)، ومن محاسن الجنات أن تكون محاطة بالأشجار المثمرة.

وتأمل هذه الهيئة التي ذكر الله تعالى، فإن المرء لا يكاد يتخيل أجلَّ منها في مكاسب الناس: جنتا عنب أحاط بها نخلٌ بينهما فسحة هي مزدرعٌ لجميع الحبوب والماء الجاري على وجه الأرض يسقي جميع ذلك من النهر الذي جمَّل هذا المنظر وعظمَّ النفع، وقرب الكد، وأغنى عن النواضح وغيرها. (تفسير المحرر الوجيز لابن عطية بتصرف).

«كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا»؛ أي: أن كل واحدة من الجنتين آتت أكلها، أي: أعطت ثمارها التي يأكلها الناس من العنب والتمر وغيرها من صنوف الزرع، «ولم تظلم منه شيئًا»، ولم تنقص من هذا المأكول شيئًا في سائر السنين، بل كان أكل كل واحدة منهما وافيًا كثيرًا في كل سنة، على خلاف ما جرت به عادة البساتين، فإنها في الغالب تكثر ثمارها في أحد الأعوام وتقل في عام آخر، وفي التعبير بكلمة: «تظلم» بمعنى: تنقص وتمنع، مقابلة بديعة لحال صاحبهما الذي ظلم نفسه بجحوده لنعم الله تعالى واستكباره في الأرض.

ثم بين سبحانه أن صاحب هاتين الجنتين كانت له أموال أخرى غيرهما فقال: «وكان له ثمر»، والثمر-بضم الثاء، والميم-: المال الكثير المختلف من النقدين (الذهب، والفضة) والأنعام والجنات والمزارع، والمعنى: وكان لصاحب الجنتين مالٌ، أي غير الجنتين، «فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا»، و«الصاحب» هنا بمعنى المقارن في الذكر حيث انتظمهما خبر المثل، أو أريد به الملابس المُخاصم، «وهو يحاوره» أي يخاطبه.

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

رسالة إلى أهل الثغر

نظرات في كتاب

رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠ هـ - ٣٢٤ هـ)

الحلقة الأولى

إعداد/ محمد عبد العزيز

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصلاة وسلامًا على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى محمد صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فإن تصحيح الاعتقاد، وتحقيق التوحيد أول الواجبات التي كلف به العباد، فبه النجاة في الدار الآخرة، والله تعالى حصر غاية خلق الثقلين الإنس والجن في تحقيقه، قال الله تعالى في محكم التنزيل: « وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (الذاريات: ٥٦)، وهو أول ما يسأل عنه العبد في البرزخ إذا انتقل من هذه الدار، فاستقبل الدار الآخرة، فعن البراء، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:« المسلم إذا سئل في القبر: يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله: « يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ » (إبراهيم: ٢٧)». (أخرجه البخاري: ١٣٦٩، ٤٦٩٩، ومسلم: ٢٨٧١).

ولقد حدث الاختلاف في بعض مسائل الاعتقاد من فئام من الناس غيروا وبدلوا ما كان عليه سلف هذه الأمة فيها، فكان الخلاف في سبعة من الأصول، قال أبو القاسم الأصبهاني، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ) في كتابه: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (٤٠٩/٢): «قال بعض العلماء: الأصول التي ضل بها الفرق سبعة أصول: القول من ذات الله سبحانه، والقول في صفاته، والقول في أفعاله، والقول في الوعيد، والقول في الإيمان، والقول في القرآن، والقول في الإمامة.

فأهل التشبيه: ضلت في ذات الله، والجهمية: ضلت في صفات الله، والقدرية: ضلت في أفعال الله، والخوارج: ضلت في الوعيد، والمرجئة: ضلت في الإيمان، والمعتزلة: ضلت في القرآن، والرافضة: ضلت في الإمامة.

فأهل التشبيه: تعتقد لله مثلاً، والجهمية: تنفي أسماء الله وصفاته، والقدرية: لا تعتقد أن الخير والشر جميعًا من الله، والخوارج: تزعم أن المسلم يكفر بكبيرة يعملها، والمرجئة: تقول: إن العمل ليس من الإيمان، وإن مرتكب الكبيرة مؤمن، وإن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، والرافضة: تنكر إعادة الأجسام، وتزعم أن عليًا- رضي الله عنه- لم يمت، وأنه يرجع قبل يوم القيامة، والفرقة الناجية: أهل السنة والجماعة، وأصحاب الحديث وهو السواد الأعظم».

وكتاب: رسالة إلى أهل الثغر من الكتب المهمة التي قرر فيها الإمام أبو الحسن الأشعري اعتقاد أهل السنة والجماعة تقريرًا واضحًا بينًا مختصرًا، وقد قسم رسالته تلك إلى بابين اثنين:

الباب الأول: خصصه لإثبات حدوث العالم، وإثبات الصانع، وصدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، واهتمام السلف بجمع أقواله.

الباب الثاني: ذكر فيه واحدًا وخمسين إجماعًا للسلف في مسائل الاعتقاد.

وهذه الرسالة المهمة كتبها رحمه الله تعالى إجابة لأسئلة وردت إليه من أهل الثغر.

والثغر: حصن بباب الأبواب، يقع في الطرف الشرقي من القوقاز في دربند الفارسية، ويعرف الآن باسم: الباب الحديدي، أو باب الحديد.

والأبواب: هي مخارج الأودية في شرق القوقاز. (معجم البلدان: ١/٤٣٩، ومذاهب الإسلاميين، لعبد الرحمن بدوي: ص٥٢٢)

وقد قسمت هذه النظرات في كتاب: رسالة إلى أهل الثغر إلى قسمين:

القسم الأول: ترجمة مختصرة للإمام أبي الحسن الأشعري، وهي جزء مهم جدًا في هذا المقال.

القسم الآخر: نظرات في هذا الكتاب القيم لهذا الإمام الفذ أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى.

القسم الأول: ترجمة الإمام أبي الحسن الأشعري:

أولا: اسمه ونسبه:

هو: علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري.

يكنى: بأبي الحسن.

ويلقب: بالأشعري، لأنه من نسل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

والأشعري: نسبة إلى أشعر، وهي قبيلة يمنية، وقد لقب بهذا اللقب نبت بن أدد، وقد لقب بهذا اللقب لأن أمه ولدته وهو أشعر، والشعر على كل شيء منه. (الأنساب، للسمعاني: ١/٢٦٦، ٢٦٧، وتبيين كذب المفتري، لابن عساكر ص٣٧٥).

والأشعري: لقب أطلق في التاريخ على فئتين: فالفئة الأولى: نسبية، والفئة الثانية: مذهبية، قال ابن القيسراني في كتابه: الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط (والكتاب في علم: المؤتلف والمختلف) (ص ٢٩): «الأشعري:

والأشعري الأول: رهط أبي موسى عبدالله بن قيس، وقبيلته، ومن نسب إليه.

الثاني: من ينسب إلى مذهب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري».

وهذه النسبة الثانية للمذهب الاعتقادي الأوسط لهذا الإمام الجليل أبي الحسن الأشعري.

تاريخ ولادته ونشاته:

وُلد أبو الحسن الأشعري في البصرة، عام: ٢٦٠ هـ، وقد مات أبوه وهو ما يزال صغيرًا، وقد أوصى به عند وفاته إلى زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الساجي البصري الشافعي الإمام، الثبت، الحافظ، محدث البصرة، وشيخها، ومفتيها، ليؤدبه ويعلمه، وكان هذا الإمام الثبت على مذهب أهل الحديث، مذهب سلف هذه الأمة.

ثم إن أمه تزوجت من أبي علي محمد بن عبد الوهاب البصري الجبائي، رأس المعتزلة وشيخهم، وصاحب التصانيف، وكان أبو علي- على بدعته- متوسعًا في العلم، سيال الذهن، وهو الذي ذلل الكلام، وسهله، ويسر ما صعب منه، فأخذ منه هذا العلم ابنه أبو هاشم الجبائي، وخلفه في رئاسة المذهب، كما أخذه عنه أبو الحسن الأشعري ونشأ فيه وأقام على ذلك أربعين سنة، ولم يكن الجبائي قويًا في المناظرة بل صاحب تصنيف وقلم، فكان إذا عرضت مناظرة قال للأشعري: نُبْ عني. (العقد المذهب، لابن الملقن ص٣٥).

ثم إن أبا الحسن تبين له فساد مذهب المعتزلة مسألة مسألة حتى تركه، وكان من أوائل ذلك مسألة الصلاح والأصلح على الله، وقد جرت بين أبي الحسن وشيخه أبي علي فيها مناظرة. (ذكرها كلٌ من ابن خلكان في وفيات الأعيان (٤/٢٦٧)، والذهبي في السير

(١٨٣/١٤) في ترجمة أبي علي الجبائي، والصفدي في الوافي بالوفيات في ترجمة أبي الحسن الأشعري ١٣٨/٢٠).

تحوله عن مذهب المعتزلة إلى مذهب أهل السنة:

قال ابن الصلاح في طبقات الفقهاء الشافعية (٦٠٥/٢)، ناقلاً عن الشيخ أبي محمد الجويني والد إمام الحرمين في كتابه: شرح الرسالة: « أول أمره كان الاعتزال، ثم لما ظهر له فساد أقوالهم رجع عن واحد فواحد حتى خالفهم في أكثر ما اعتقدوه، ولم يرجع عن هذه المسألة يعني: مسألة تصويب المجتهدين، وقال: كل مصيب، وكل حق».

وقد ذكر ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى حكاية يذكر فيها مبدأ رجوعه بعد تحيره، قال (٣٤٨/٣): «ويحكى من مبدأ رجوعه أنه كان نائمًا في شهر رمضان فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: يا علي انصر المذاهب المروية عني فإنها الحق.

فلما استيقظ دخل عليه أمر عظيم ولم يزل مفكرًا مهمومًا من ذلك وكانت هذه الرؤيا في العشر الأول.

فلما كان العشر الأوسط رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ثانيًا، فقال: ما فعلت فيما أمرتك به؟

فقال: يا رسول الله وما عسى أن أفعل، وقد خرجت للمذاهب المروية عنك محامل صحيحة؟

فقال لي: انصر المذاهب المروية عني فإنها الحق.

فاستيقظ وهو شديد الأسف والحزن وأجمع على ترك الكلام واتباع الحديث وملازمة تلاوة القرآن.

فلما كانت ليلة سبع وعشرين، وكان من عادته سهر تلك الليلة أخذه من النعاس ما لم يتمالك معه السهر فنام وهو يتأسف على ترك القيام فيها فرأى النبي صلى الله عليه وسلم ثالثًا فقال له: ما صنعت فيما أمرتك به؟

فقال: قد تركت الكلام يا رسول الله، ولزمت كتاب الله وسنتك.

فقال له: أنا ما أمرتك بترك الكلام إنما أمرتك بنصرة المذاهب المروية عني فإنها الحق.

قال: فقلت: يا رسول الله كيف أدع مذهبًا تصورت مسائله، وعرفت دلائله منذ ثلاثين سنة لرؤيا؟

قال: فقال لي: لولا أني أعلم أن الله يمدك بمدد من عنده لما قمت عنك حتى أبين لك وجوهها، فجد فيه فإن الله سيمدك بمدد من عنده فاستيقظ، وقال ما بعد الحق إلا الضلال وأخذ في نصرة الأحاديث في الرؤية والشفاعة، والنظر، وغير ذلك».

ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يومًا، ثم خرج إلى الجامع، وصعد المنبر، ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يُرى في الدار الآخرة بالأبصار، وأن العباد يخلقون أفعالهم، وها أنا ذا تائب من الاعتزال، معتقد الرد على المعتزلة، مبينًا لفضائحهم.

وقال معاشر: الناس إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي شيء على شيء، فاستهديت الله تعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده، كما انخلعت من ثوبي هذا وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به، ودفع الكتب التي ألفها على مذاهب أهل السنة إلى الناس. (طبقات الشافعيين ص٢٠٨، ٢٠٩، وطبقات الشافعية الكبرى، لابن السبكي ٣٤٨/٣).

ثم دخل رحمه الله تعالى بغداد، وأخذ عن زكريا الساجي أحد أئمة الحديث والفقه، وعن أبي خليفة الجمحي، وسهل بن سريج، ومحمد بن يعقوب، وعبد الرحمن بن خلف الضبي البصريين، وروى عنهم كثيرًا في تفسيره، وصنف بعد رجوعه عن اعتزاله الموجز، وهو ثلاث مجلدات، كتاب مفيد في الرد على الجهمية والمعتزلة، ومقالات الإسلاميين، وكتاب الإبانة.

وإلى لقاء قريب إن شاء الله تعالى نستكمل به المقال، والحمد لله أولاً وآخرًا.

النوع الرابع من أنواع العقول الفقهية

العقل المؤثِّر والمتأثِّر

إعداد د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعدُ:

فحسب ما وعدنا القارئ الكريم في مقالنا السابق، أننا سنتحدث في هذا المقال عن نوع جديد من أنواع العقول الفقهية، وهو النوع الرابع منها:

والعقل الرابع هو: العقل المؤثر والمتأثر:

وأقصد بهذا النوع الحديث عن العقل الذي يُؤثر إما في صاحبه أو في غيره، أي العقل ذو التأثير.

وهنا نجد سؤالاً: أين نجد هذا النوع من العقول الفقهية، وكيف نتعرف على وظيفته؟

هذا النوع من العقل مضبوط بأصول وقواعد وضوابط الشريعة الغراء، لا يحيد عنها ولا يبعد.

ومن الأمور التي أثرت في هذا العقل، وجعلته مؤثرًا في غيره:

الأمر الأول: ما يُساعد على تغيير الفتوى.

فهناك بعض الأمور تساعد الفقيه في تغيير فتواه، وهي: الزمان، والمكان، والعرف، والعادة، والأشخاص.

وهذه الأخيرة (الأشخاص) يدخل فيها أصحاب العقول بأنواعها.

الأمر الثاني: قواعد الإنكار على المخالفين:

هناك قاعدة عند أهل العلم أصل في هذا الأمر، وهي: لا إنكار في مسائل الخلاف.

ويُضاف في تفصيلات هذه القاعدة أيضًا: لا إنكار عندما يكون المخالف في أحد الخمسة التي مرت في الأمر الأول، فلا يُنكر تغيير الأحكام بتغير هذه الخمس.

الأمر الثالث: اعتبار النظريات الفقهية الخاصة المؤثرة: من المقرر عند العلماء أن من النظريات الفقهية خاصة بالتأثير، بل وتكون عاملاً أساسيًا في التأثير، وسأضرب مثالين لهذه النظريات كالتالي:

النظرية الأولى: نظرية الاستصحاب:

فالاستصحاب: هو الحكم بثبوت أمر في الزمان بناءً على ثبوته في الزمان الأول؟ وذلك لفقدان ما يصلح للتغيير، ولذلك الاستصحاب يكون للزمن الحاضر والماضي معًا.

وتأتي ترتيبًا على هذه القواعد الفقهية، مثل:

أ- اليقين لا يزول بالشك.

ب- الأصل بقاء ما كان على ما كان.

جـ- الأصل براءة الذمة.

د- الأصل العدم.

النظرية الثانية: نظرية اعتبار المآلات:

وفي هذه النظرية يكون النظر في المستقبل لا في الماضي.

وفي هذه النظرية أيضًا يقرر العلماء: النظر في مآلات الأفعال مُعتبر شرعًا، وذلك مبني على تقدير نتائج الأفعال والتصرفات، مثل: منع عمر رضي الله عنه الزواج من الكتابيات، وأمره لحذيفة (والي المدائن)، أن يُطلق زوجته الكتابية.

الأمر الرابع: الفقه التقديري والبُعد الزمني: وهذا يُسمى عند البعض بفقه (الآرائيين)، وعرف على يد مدرسة أهل الرأي، وهو تقدير للحوادث وفرض وقوعها ثم إيجاد الحلول لها.

وهي ما تسمى في المذهبية الفقهية: (بالافتراضات المذهبية)، فقد روى صاحب تاريخ بغداد أن أبا حنيفة سأل قتادة لما نزل الكوفة: ماذا نقول في امرأة غاب عنها زوجها حتى ظنت أنه مات؟ ثم رجع بعد أن تزوجت، ماذا تقول في صداقها؟

سكت قتادة!! ثم قال: ويحك! أوقعت هذه المسألة؟ قال: لا. قال: فلم تسألوني عما لم يقع؟ قال أبو حنيفة: إنا نستعد للبلاء قبل وقوعه؛ فإذا ما وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه. اهـ.

وهذا فقه عالٍ من جانب عقل أعلى، وكيف لا؟! وهو فهم من قال فيه إمامنا مالك: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة، رحم الله علماءنا.

الأمر الخامس: التنظير الفقهي المستقبلي: وهذا الأمر يعني وضع نظريات فقهية للفقه التقديري، وهو عامل أساسي في بيان هذا النوع من العقول الفقهية لا يدخل فيه إلا الكبار.

ومن أبرز من فعل ذلك إمام الحرمين الإمام الجويني في كتابه «الغياثي»، وتعرض فيه لقضايا في السياسة الشرعية، من أهمها على سبيل المثال:

أ- تقدير خلو الزمان عن الإمام، وتصور عدم وجود من تنطبق عليه صفات الإمام المعتبرة.

ب- تقدير خلو الزمان من المجتهدين المستقلين بالاجتهاد.

ج- تقدير خلو الزمان من المُفتين ومن نقلة المذاهب، فماذا يكون مرجع المستفتين في أحكام الدين.

د- تقدير خلو الزمان عن العلم بأصول الشريعة.

وغيرها من التقديرات التي لامسها المكلف بعد ذلك فوجد حلاً لها في كتابه، رحم الله الكبار.

الأمر السادس: المكان والبيئة:

من المعلوم أن المكان والبيئة هما من الأسس التي تكوِّن الشخصية، ولهذا يحتم على صاحب العقل أن يكون على إدراك تام بمكان وبيئة من سيجعله متأثرًا به حتى يكون صاحب تأثير، وبه يكون عقلاً مؤثرًا.

الأمر السابع: الشيخ والتلميذ:

فهذا الأمر يتصل بوضوح الصلة بين المتحدِّث والمتحدَّث له، وذلك لبيان مدى التأثير، وأين يقع؟!

فإذا علم الشيخ كونه شيخًا، فُرض عليه سمات معينة، وأوصاف لا ينبغي أن يحيد عنها. وإذا علم التلميذ أنه تلميذ، كان أيضًا له نصيب من أوصاف وسمات التلميذ.

وحينئذ يؤثر الشيخ في تلميذه بلا شك.

وعليه، فهذه بعض الأدوات التي نرى فيها هذا النوع من العقول ومدى تأثيره بالضبط، فإذا عقلنا هذا النوع، ينبغي لنا أن نتحدث عن عقل جديد، ونوع آخر من العقول الفقهية ووظيفته، ألا وهو النوع الخامس والأخير منها: العقل الباحث.

وهذا سيكون محور لقائنا القادم، بإذن الله تعالى، وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٦ مجلدة
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

ثمن الكرتونة

١٠٥٠ جنيه

مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. تتحدى الأيام

المكتبة الإسلامية

المكتبة العامة

مكتبتك الخاصة

الأسرة المسلمة

لا يستغني عنها بيت مسلم

الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد

أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد

كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي

للاستفسار.. يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد
☎ 23936517

التمور الطحان ®
أصالة الزمان
جئنا لنتفوق ..
وعليك أن تتذوق
ISO 22000
Safety Seal
تمور الطحان
أصالة الزمان
عسل التمر
DATES HONEY
طبيعي ١٠٠ %
بكل فخر صنع في
مصر
علامة الجودة
www.altahhandates.com

خدمة العملاء
01284447778
01128911113

(+2) 01067717725
Altahhan.goldendates

محافظة الوادي الجديد

قلعة صناعة التمور فى مصر